



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الكوفة / كلية العلوم السياسية

القسم / علوم سياسية

البراغماتية في الفكر الامريكى المعاصر

بحث مقدم من قبل الطالب

جعفر ناصر كريم

إشراف الأستاذ

أ.م.د. أسعد جلال شبيب

الأهداء

اليسى من يسعد قلبي بلقبها
الى روضة الحب التي تبنت ازكى الازهار
أهسى

اليسى رمز الرجولة والتضحية
الى من دفعتني الى العلم وبه ازده افتخار

أهسى

الى من هم اقرب اليه من روهي الى من شاركني حزن الام وبهم استمد
مزني واصراري اخسائي

الى من أنسني في دراستي وشاركني همومي تذكراً وتنبيراً
أهسائي

الى الصرح العلمي الفني والجمار جامعة الكوفة اهدي هنيئاً
البحث

الشكر والتقدير

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

بعد ان وفقنا الله تعالى في اتمام البحث لا بد ان نتقدم بالشكر والتقدير الى عمادة كلية العلوم السياسية، جامعة الكوفة على توفير اكمال دراستنا .

كما يسرني ان اشكر عميد الكلية والمعاون العلمي والمعاون الاداري وكل اعضاء الهيئة التدريسية على وقفهم المشرفة في اكمال بحثي الموسوم .

والجدير بالشكر الاستاذ (اسعد شبيب) الذي ساهم في البحث عن اثنى المعلومات لإكمال البحث خاصة فلة جزيل الشكر والتقدير والاحترام .

ولا انسى مواقف زملائي وجهودهم المبذولة ومساعدتي لإتمام البحث .

الشكر وكل الاحترام الى اهلي واقربائي واصدقائي الذين وقفوا معي جنباً الى جنب لمساعدي

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
	ايه قرآنية
	الاهداء
	الشكر والتقدير
٣-١	المقدمة
٤	التمهيد
٩-٥	المبحث الاول
٥	تعريف البراغماتية
٩-٦	نشأة البراغماتية
١٩-١٠	المبحث الثاني
١١-١٠	اتجاهات البراغماتية في الفكر الامريكي المعاصر
١٤-١٢	اولا: الاتجاه الديني
١٥	ثانيا: عصر الاستنارة (عصر العقل)
١٧-١٦	ثالثا: العصر الرومانسي
١٩-١٨	رابعا: نظرية التطور ودورها في صياغة الفكر البرجماتي
٣١-٢٠	المبحث الثالث
٢٠	موقف البراغماتية الامريكية المعاصرة من العلمانية والديمقراطية والحدثة
٢٠	المطلب الاول: موقفها من العلمانية
٢٠-٢١	اولا: مفهوم العلمانية
٢٣-٢٢	ثانيا: موقف البراغماتية من العلمانية
٢٤	المطلب الثاني: موقفها من الديمقراطية
٢٥-٢٤	اولا: مفهوم الديمقراطية
٢٧-٢٦	ثانيا: موقف البراغماتية من الديمقراطية
٢٨	المطلب الثالث: موقفها من الحدثة
٢٨	اولا: مفهوم الحدثة
٣١-٢٩	ثانيا: موقف البرجماتية من الحدثة
٣٣-٣٢	الخاتمة
٣٦-٣٤	المصادر والمراجع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وأرشدنا لهديه القويم ، ووفقنا للإيمان بالغيب والشهادة . ، والحاضر
والمغيب ، واليقين بأن الخير كله فيما أرشدنا إليه ربنا ، سواء علمنا حكمته أم لم نعلم
وبعد :

لقد كرم الله الإنسان بالعقل ، وفضله على كثير من خلقه ، وجعله مكلفاً ومحاسباً على اعماله ان خيراً
فخيراً وان شراً فشر . ولكن بعض بني البشر يفرط في استخدام العقل ، ويخضع معايير المصالح والمفاسد
لعقله ، ويربطها بمقدار المصالح الشخصية التي يكسبها ويتحصل عليها من خلال تصور نسبي أو ميل
نفسى أو حدس شخصي .

ولقد طغت على كثير من المفاهيم تلك الإيديولوجيات التي تحدد معايير الصحة والصدق بمقدار ما
تحقق من منافع ومكاسب. ومن تلك الإيديولوجيات : البراجماتية حيث ظهرت كفكرة في النصف الثاني
من القرن التاسع عشر الميلادي ، وإن كانت ، كتطبيق إنساني ، قد سبقت ذلك بمراحل ، كما هو الحال
في أية نظرية أو تطبيق . ولقد تغلغت تلك الأيديولوجية في معظم شؤون الحياة ، وتبنى أفكارها كثير
من المثقفين، وطبق نظريتها كثير من أبناء البشر . ولكن هذه النظرية – من وجهة نظري – هي من
الخطر بمكان ، إن لم نفرق بين أجزائها ، ونلق الضوء عليها، وُنزل ما قد يقع في أذهان البعض من
شبهات ، عندما يرى عباراتها المعسولة ونتائجها المقبولة ، ويغفل عن اللوازم المترتبة على ذلك ،
ويتغاضى عن الطريقة التي سارت فيها ، لتصل إلى تلك النتائج . ونظراً لقلّة الكتابات في هذا الباب ،
وندرتها ، رأيت أن أساهم ، ولوبشيء يسير في التعريف بالمذهب البراجماتي ، وبيان أسسه ومبادئه ،
وأبرز رموزه وأنماطه ، وعلاقته بالعلمانية والديمقراطية والحدثة

اهمية الدراسة ودواعي الاختيار

تكمن أهمية دراسة الفكر البراغماتي من كونه يبحث في واحدة من الأفكار الرئيسية للفكر السياسي
الليبرالي. الأمريكي فقد أثر تأثيراً مهماً في صياغة الثقافة الأمريكية والأطروحة الأمريكية المعاصرة . ،
ليس على صعيد السياسة الداخلية فقط، وإنما الأهم من ذلك على صعيد السياسة الخارجية والعلاقات
الدولية ورسم مصلحتها القومية العليا وإستراتيجيتها . لأن الفكر الأمريكي قائم على مرتكزين (المادي
والبراغماتي). فمن هنا تكمن أهمية البحث في

هذا الفكر. وعلى الرغم من كثرة التيارات الفلسفية والفكرية التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية
منذ حوالي منتصف القرن التاسع عشر وحتى الآن إلا إن البراغماتية تعد لأسباب عديدة أهمها جميعاً، فهي

الفلسفة التي عبرت عن واقع المجتمع الأمريكي وعن نجاح أفراده في التكيف مع البيئة الجديدة التي انتقلوا إليها منذ اكتشاف أمريكا ونزولهم إليها ومحاولة مواجهة كل الظروف الطبيعية والبيئية الصعبة والتغلب عليها وتحويلها إلى أدوات أدت إلى هذا التقدم الهائل الذي تشهده الآن الولايات المتحدة الأمريكية كما أنها ومن خلال تأثير إعلامها بنظرية التطور – التي تعتبر من. الفلسفات الديناميكية التي سعت وسعى أتباعها باستمرار إلى التطور والتجديد والنظر دائماً إلى المستقبل والبحث عن عوامل النجاح فيه . ليكون هذا واحداً من أهم الأسباب ودواعي البحث وأهمية المعاصرة التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع هذا من جهة . ومن جهة أخرى اعتبار هذا الفكر - الفكر الذي عبر عن واقع المجتمع الأمريكي الجديد الذي صنعه الإنسان في أمريكا عبر حبه للمغامرة وقدرته على التكيف مع الواقع الجديد وقبوله للتغيير والتجديد في كل شئونه فكرياً وسياسياً واجتماعياً وباعتباره أصبح ونحن عشنا نهاية القرن العشرين ومازلنا نعيش بداية القرن الواحد والعشرين هو الفكر الأكثر انتشاراً وشيوعاً في عالم شرقه وغربه. ، إذ أصبح إنسان اليوم في كل بلدان العالم تقريباً أنساناً براغماتياً مادياً نفعياً بكل ما تحمل الكلمة من معنى فهو لم يعد يستهدف من إي سلوك أو من إي فعل قيمة أخلاقية أو دينية بل أصبح كل همه السؤال عن النتائج العملية والمفيدة التي ستترتب على هذا السلوك أو ذلك.

فرضية الدراسة:

تتطلب هذه الدراسة من فرضية أساس مفادها: أن الفكر البراغماتي جسد دوراً كبيراً ومؤثراً في الفكر الأمريكي المعاصر بأبعاده الدينية والأيدولوجية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ليصبح إحدى المرتكزات الرئيسية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية . وبهذا تسعى الدراسة للإجابة عن جملة تساؤلات منبثقة من الافتراض العملي ولعل أهمها ما يأتي : ما تعني البراغماتية.

؟ كيف نشأت البراغماتية ؟ متى ؟ ولماذا ؟ وهل لها عمق فلسفي تاريخي في الفلسفة الإغريقية والفلسفة الحديثه والوسيطه؟ أم انه نشأ بالمصادفة المجردة في الولايات المتحدة الأمريكية ؟ وما أنواع وسمات هذا الفكر ؟ وما الاتجاهات الأمريكية التي مهدت لظهور الفكر البراغماتي؟ وكيف تطور تاريخياً؟ ومن إعلام هذا الفكر؟ وكيف استخدموه؟ هل بنسق واحد؟ أم هناك تعدد واختلاف في استخدام هذا الفكر ؟ ولماذا اضطر (بيرس) لتغيير براغماتية إلى اسم آخر؟ وما معيار الحقيقة بالنسبة للفكر البراغماتي؟ وما سر نجاح هذا الفكر في أمريكا ؟ وعلى الساحة العالمية. ؟ وكيف تغلغل هذا الفكر في الخطاب الأمريكي المعاصر في الدين والسياسة والاقتصاد ؟ وماهية الصورة الجديدة لهذا الفكر ؟ وما آخر تجليات هذا الفكر على صعيد الفكر السياسي الأمريكي المعاصر؟ ومدى تأثير المدرسة الواقعية بهذا الفكر؟ ومدى تأثيره أيضاً في صياغة المشروع الحضاري الأمريكي ؟ ولماذا أطلق عليه الفكر السياسي الرسمي للولايات المتحدة؟ أسئلة عدة تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها انطلاقاً من فرضيتها العلمية.

صعوبات الدراسة :

لا بد أن تكون هناك صعوبات عدة تواجه الباحثين بسبب قلة الخبرة في كتابة هذا النوع من الدراسة. والصعوبات التي تواجه الباحثين أصبحت من الأمور البديهية والمعروفة لدى الجميع ومعلومة للكثير، إلا أن هذه الصعوبات تختلف باختلاف الموضوعات والباحث في الفكر البراغماتي بوصفه فكراً سياسياً عاني من بعض هذه الصعوبات وهذه الصعوبات تتمثل في : • ندرة المصادر، والمقصود هنا بقلة

المصادر ليس عدم وجود مصادر ، وإنما المصادر التي تناولت هذا الفكر اقتصرت على بحثه بوصفه فلسفة وليس فكراً سياسياً. فقد واجه الباحث صعوبة كبيرة في استخراج مآده سياسية ، كذلك صعوبة الحصول على المصادر الانكليزية ا . إما بالنسبة للمصادر العربية مثلت صعوبة كبيرة بالنسبة للباحث بسبب عدم تناولها لهذا الفكر بشكل موضوعي، وكذلك عدم وجود دراسات سابقة فيما يخص هذا الفكر . هناك صعوبة كبيرة في تفكيك النص لكون أكثر النصوص نصوص فلسفية.

مشكلة الدراسة :

تكمن المشكلة الرئيسية في هذه الدراسة في الشكوك والجدل اللذين أثيرا بين الباحثين حول أصالة الفكر البراغماتي الأمريكي الذي عده بعضهم فكراً أمريكياً بحتاً لا يتمتع بالعمق الفلسفي والأصالة الفكرية. كما هو الحال بالنسبة للاتجاهات الفلسفية والفكرية المعاصرة على الساحة الفكرية العالمية التي تتمتع بعمق فلسفي وأصالة فكرية تاريخية.

البراغماتية في الفكر الأمريكي المعاصر

التمهيد:

البحث في الفكر السياسي الأمريكي لا بد أن يشكل أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع الإنساني، على الرغم من أن جذور هذا الفكر ليست بالبعيدة كما هو الحال في الفكر السياسي الأوربي . إلا انه استطاع أن يثبت جدارته في الساحة الفكرية العالمية بوصفه فكراً عالمياً، فقد كانت الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر في بداية وعيها بإمكانيتها الثقافية بعد زمن الحرب الأهلية، حيث كان النشاط الفلسفي الأمريكي لحقبة طويلة من الزمن مجرد انعكاس للتأثيرات الأوربية – ويستطيع الملاحظ المدقق في الساحة الأمريكية في أوائل القرن التاسع عشر أن يلاحظ كما لاحظ بحق (توكفيل): أن الفلسفة لم تؤخذ بأي قرن من قرون عالمنا المتحضر بصورة جدية بقدر ما أخذت بها في الولايات المتحدة الأمريكية. وربما يعود هذا إلى أن الفلسفة قد بدت على درجة كبيرة من الغموض وبصورة بعيدة للغاية عن اهتمامات دولة ناشئة قوية ، وقد شهد القرن الثامن عشر دفعة قوية جاءت على يد فلاسفة التنوير الفرنسيين، كما شهد القرن التاسع عشر دفعة أخرى جاءت من الرومانسية الألمانية، ألا إن منتصف القرن التاسع عشر قد شهد انتعاشاً فلسفياً جاء رافضاً للتقاليد الأوربية والأكاديمية السائدة . وفي غمرة هذا الانتعاش الفلسفي برز أول مذهب فلسفي - فكري يمكن إن ينتسب إلى الأرض الجديدة، إلا وهو المذهب العملي البراغماتي. ليتبلور خلال تطوره التاريخي بشكل فكر رسمي ساد القارة الأمريكية والعالم اجمع، وليصبح بعد ذلك الصياغة الحقيقية للفكر الأمريكي ولاسيما فكرها السياسي الاقتصادي والمعبر عن الثقافة الأمريكية المعاصرة، ليطلق عليه بعد ذلك بالفكر السياسي الرسمي. ولاسيما بعد الانتعاش الفلسفي والفكري للقارة الأمريكية أو العصر الذهبي التي عاشتها الفلسفة الأمريكية إبان تلك الفترة التي عاشتها الولايات المتحدة الأمريكية، ليكون بذلك واحداً من أهم الأسس التي أنبنى عليها الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية وعاملاً مهماً في بناء الإمبراطورية الأمريكية المعاصرة، لكون هذا الفكر يركز على المنفعة في الأفكار والنظريات مهما تكن هذه الأفكار إذ الغاية والنجاح هما الحكم والفيصل في قياس مدى أهمية الفكرة ونفعها والنتائج المتمخضة عنها. ليحتل هذا الفكر بعد ذلك السيطرة المطلقة على السياسة الأمريكية ولاسيما على الصعيد الخارجي وفي إطار العلاقات الدولية. ونتيجة لهذا أصبح الفكر السياسي الأمريكي فكراً براغماتياً وهو في جوهره نهج محافظ يرى من حقه إتباع كل وسيلة ممكنة في سبيل الوصول إلى حقه في البقاء وان المصلحة والمنفعة والذاتية هي معيار الصدق والأخلاق . فبهذا أصبح الفكر البراغماتي الترجمة السلوكية الحقيقية للفكر السياسي الأمريكي والسياسة الأمريكية المعاصرين

المبحث الاول

أولاً : تعريف البرجماتية

مفهوم البرجماتية (pragmatism) : جاء في المعجم الفلسفي " بالفرنسية (Pragmatisme) وبالانجليزية (Pragmatism) و البرجماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني براغما (Pragma)، معناه العمل، وهي مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح. فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، أي الفكرة التي تحققها التجربة. فكل ما يتحقق بالفعل فهو الحق، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية" (١) ولقد اوجد هذا المصطلح الفيلسوف الامريكي (شارلز بيرس) نحنا جديدا من اصل اغريقي ، وتحديدًا من الكلمة اليونانية (pragma) ليبدل بجدة اللفظ على جدة المذهب ، والا فقد كان يوسع ان يختار كلمة اخرى من اللغة المستعملة ليشير بها الى الجانب العلمي التطبيقي ، الذي اراده . (٢) ثم تطور هذا المصطلح على يد الفيلسوف الامريكي (ويليام جيمس) ومن ثم (جون ديوي) ، وهم وان اتفقوا في الاصول فان لكل واحد منهم لونا يميزه في نظريته للبرجماتية (٣)

وقد قسم الباحث البرجماتية إلى جانبين: نظري ، وتطبيقي، وهذا التقسيم إنما هو

لغرض منهجي توضيحي .

• الجانب النظري للفلسفة البرجماتية:

قصده الباحث ما يتعلق بالشق الفلسفي منها ونظرا للكون والإنسان والمعارف والقيم.

• الجانب التطبيقي للفلسفة البرجماتية: وقصد به الباحث ما يتعلق بالتطبيقات التربوية للفلسفة البرجماتية وموقفها من التربية والتلميذ والأهداف التربوية.

(١) صليبيبا جميل ، المعجم الفلسفي ، بيروت : دار الكتب اللبناني ، ١٩٨٢ ، ص ٢٠٣ .

(٢) زكي نجيب محمود ، من زاوية فلسفية ، ط ٤ ، دار الشروق ، ١٩٩٣ ، ص ٢٠٦ ، وينظر ، مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، ط ٣ ، ١٩٩٧ ، ص ٧٤ .

(٣) ينظر ، مصطفى النشار ، مدخل جديد الى الفلسفة ، ط ٤ ، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ ، ص ١٦٤ .

ثانيا : نشأة البراجماتية.

نشأت الفلسفة البراجماتية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين (١)، في القارة الأمريكية على يد الفيلسوف الأمريكي (تشارلز ساندرس بيرس) Charles Sanders Peirce (١٨٣٩ - ١٩١٤)، الذي يعتبر أول من أطلق مصطلح البراجماتية (Pragmatism) ، وذلك في مقالة له بعنوان : (كيف نجعل أفكارنا واضحة) (How to make our ideas clear) (٢)، نشرت في مجلة (بوببولا ساينس مونثلي) Popular Science Monthly ، في عدد يناير سنة (١٨٧٨م). ويقرر فيه أن "المفهوم يكون ذا معنى إذا أنتج موضوعه أثراً تدخل في إطار الخبرة تحت ظروف تتحكم فيها ... ويكون المفهوم واضحاً إذا ما تيقنا وتحققنا من النتائج، التي تلزم عنه عندما نحدد شروط موضوع تصورنا. ويتساءل (بيرس) : (ما معنى وأهمية أي فكرة ما ؟) ، ويجيب : (طريقة السلوك المتولد عنها). وهو ما يعني أن الموضوع هو محتوى الخبرة ومضمونها، وأن قيمة الفكرة تكمن في نتائجها العملية، التي هي الإحساسات المباشرة فقط." (٣) وقرر أن مبدأ الذرائعية يكمن في النظر إلى النتائج العملية، التي نأمل أن نحصل عليها من وراء أفكارنا، ويقصد أن الفكرة لا تتحقق إلا عندما تؤدي إلى نتيجة فعالة، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أو الفكرة التي تخرج منتصرةً من امتحان التجربة والزمن (٤)

(١) ابراهيم مصطفى ابراهيم ، نقد المذاهب المعاصرة ، القاهرة ، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر ، ص ٦٩ ، وينظر ، فام يعقوب ، البراجماتزم ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦ ، ص ١٣٧ _ ١٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

(٣) جلال شوقي ، العقل الامريكي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٠ ، ص ١٢٠

(٤) علي عبد الهادي المرهج ، الفلسفة البرجماتية ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٨ ، ص ٦١

فأما المستر (هولمز) فأعتقد أنه لن يسوءه أن نقول إننا فخورون بأن نذكر عضويته . وكذلك العالم الموقر (جوزيف وارنر) . ولقد كان (نيكولاس سانت جرين) من أكثر الزملاء الأعضاء اهتماما وشغفا ، وهو محام ماهر ضليع في مادته، وأحد حواريني (بنثام). كانت قوته خارقة في تجريد الحقيقة الحية من أثواب المصطلحات البالية هي ما لفتت إليه الأنظار في كل مكان، وكان يرى أهمية خاصة في تعريف باين (Bain) للاعتقاد بأنه (الشيء الذي يصبح الإنسان على أساسه مستعداً للفعل (العمل)، وغالباً ما كان يحض على أهمية استعمال هذا التحديد. وهذا التحديد يرينا أن البراجماتية ليست إلا نتيجة له. ولذلك أميل إلى اعتبار باين (Bain) الجد الأول للبراجماتية. (وتشوشي رايت)، وهو شخصية ذائعة الصيت في تلك الفترة. لم يكن ليغيب عن جماعتنا أبداً. وكنت على وشك أن أسميه (المايسترو) (أي القائد) الأوركسترا (الفرقة)". (١)

ويبدو من خلال حديث (بيرس) السابق أن البراجماتية قد تم تأسيسها في النادي. الميتافيزيقي كفكرة قبل أن تنشر في مقال (بيرس) مصطلحاً متداولاً له معناه. وتبرز التركة الفردية في الفلسفة البراجماتية منذ التأسيس، ابتداءً من تسمية (النادي الميتافيزيقي). فالميتافيزيقي عندهم تعني "كل ما هو مستقل عن خبرة الإنسان ، وهنا يجمعون في سلة واحدة بين عالم الغيب وبين العالم الموضوعي المادي، لأنه أيضاً مستقل عن خبرة الإنسان، أو له وجود مستقل، ومن ثم يبقون فقط على عالم الشهادة، بمعنى العالم المحصور داخل نطاق الخبرة الذاتية. (٢)

(١) علي عبد الهادي المرهج ، الفلسفة البرجماتية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣

(٢) جلال شوقي ، العقل الامريكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٧

وليس كل عالم الشهادة بل ما كان له ثمرة ونتيجة فعالة خاضعة لتجربة الفردية فقط. فالبرجماتية منذ قيامها وتأسيسها هي فردية التربة.

ولكن لماذا اختار (بيرس) كلمة (Pragmatism) تحديداً؟ وللإجابة عن هذا السؤال تجدر الإشارة إلى طبيعة شخصية (بيرس)، الذي يعد خبيراً من خبراء اللغة والمنطق. فلذلك أراد استخدام كلمات تعبر بدقة عن الفكرة، التي يريد طرحها، بالإضافة إلى أنه يريد كلمة تدل على معنى الفعل والعمل، ومع اهتمامه ذين الجانبين -أي الدقة والتعبير عن العمل- إلا أنه يراعي جانباً آخر هو عدم رغبته في أن يستخدم كلمة سهلة يمكن أن يكثر استخدامها في غير المعنى الذي يقصده؛ فكان نحتة كلمة (Pragmatism) من كلمة (Practic) راغباً في "أن تبلغ هذه الكلمات من النفور والكرهية حدّاً يغري بعض المفكرين السائبين الفضفاضين بعدم استعمالها" (١) ، على حد تعبيره. ويبدو أن هذا هو أحد الأسباب ، التي جعلت البرجماتية ضعيفة الانتشار على يد مؤسسها (بيرس) ، لما امتاز به من إغراق في المنطق ، وحرص على أن يختار عباراته بدقة متناهية ، قد تجعل من يستمع إليه أو يقرأ له يملّ . ففي رسالة منه إلى (وليم جيمس) راداً فيها على طلب (جيمس) حينما طلب منه تقليل مادته في المنطق والرياضيات عند تدريسه، وشرحه لأفكاره، فقال (بيرس) : "... الطلاب الدارسين (٢) هم أبعد الناس عن عالم الرياضيات كأني إنسان آخر في نيويورك على أنني أحب أن أؤكد أن فلسفتي ليست (فكرة) طفحت وفاضت نفسي، وإنما هي حدث جدي خطير وعر المسالك، والجزء الذي يرتبط بالمنطق الشكلي أوثق رباطاً ... والذين لا يستطيعون التفكير بدقة (وهو النوع الوحيد من التفكير) لا يستطيعون أن يفهموا فلسفتي ... إنني لأفكر في أنه خير لجمهور المستمعين أن يذهبوا إلى بيوم ويصلوا صلاة الأخيرة استعداداً

للقائي" (٣)

(١) علي عبد الهادي المرهج ، الفلسفة البرجماتية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٨ .

(٢) هكذا في الأصل والصحيح (الطلاب الدارسون) .

(٣) علي عبد الهادي المرهج ، الفلسفة البرجماتية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٧ .

ويحمل النص السابق قدراً من اعتزاز (بيرس) بالمنطق وحرصه عليه، وهي سمة بارزة في شخصيته. فقد تحدث عن نفسه وهو يخاطب (وليم جيمس) بقوله: "لكني كما تعرف المستر (بيرس) صاحب الشهرة وذئوع الصيت، بسبب منجزاتي العلمية المتنوعة والعديدة، و فوق كل شيء، بسبب تواضعي الشديد، الذي يحدوني إلى تحدي العالم" (١) . فيمكن ملاحظة شدة اعتزاز (بيرس) بنفسه، والتي قد تكون سبباً آخر غير السبب المذكور سابقاً، في عدم انتشار البراجماتية على يد مؤسسها. ثمَّ طورها بعد ذلك الفيلسوف، وعالم النفس الأمريكي (وليم جيمس)(W.James) (١٨٤٢ - ١٩١٤) وهو على النقيض من شخصية بيرس حيث "نالت كتاباته اهتماماً كبيراً في الأوساط الفلسفية، ولعبت دوراً ملحوظاً في الفلسفة المعاصرة" (٢) ، لما كان يمتاز به من أسلوب سهل في عرض أفكاره لتبسيط البراجماتية وإيصالها للناس، ويبدو أنه نجح في ذلك، باعتراف مؤسسها ، حيث قال (بيرس) مخاطباً (جيمس) : "لكنك وفقت أعظم توفيق في أن تبسطها على صفحتك بكل هذا الوضوح والجلال والصفاء في أسمى مراتبها ، وببسر سائغ لم يكن في الإمكان أبدع مما كان" (٣) . فلذا نال من الشهرة والصيت ما لم ينله مؤسسها. وجاء فيلسوف البراجماتية الأشهر جون ديوي (J.Dewey) (١٨٥٩ - ١٩٥٢) ليطور هذه الفلسفة ويفتح لها مجالات عديدة للتطبيق أشرف عليها بنفسه، ونظر لها تنظيراً تربوياً أخذ جانباً واسعاً من فلسفته حيث استطاع أن يطبق الفلسفة البراجماتية في مجال التربية، فاهتم بأساليب التعامل مع الطفل، وجعله محور العملية التعليمية، وركز على خبرات التلاميذ وجعلها هي الأساس للتربية برمتها. وسيأتي الحديث عن جوانب التربية البراجماتية في فصل التربية. وسيتناول الباحث في ثنايا الصفحات القادمة الحديث عن كل من هؤلاء الرواد ، ويقوم ببيان أوجه الاتفاق بينهم والاختلاف في تناولهم للفلسفة البراجماتية.

(١) علي عبد الهادي المرهج ، الفلسفة البرجماتية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٧ .

(٢) محمد مهران رشوان ، مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ ، ص ٤١

(٣) علي عبد الهادي المرهج ، الفلسفة البرجماتية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٨

المبحث الثاني

اتجاهات البراجماتية في الفكر الأمريكي المعاصر

تعد البراجماتية فلسفة مادية تنتمي إلى الاتجاه التجريبي، بل تعتبر نفسها اتجاهاً تجريبياً متطرفاً على حد تعبير جيمس، الذي يؤكد " أن البراجماتية تمثل اتجاهاً مألوفاً تماماً في الفلسفة وهو الاتجاه التجريبي ولكنها تمثله في شكل أكثر تطرفاً" (١)، إلا أنها لا تعتبر اتجاهاً تجريبياً بالمفهوم التقليدي للتجربة، بحكم أتمثل تطويراً له، من حيث ربطها بين نتائج التجربة، وما يترتب عليها من منفعة ذاتية لها ، يقول جيمس : " إن البراجماتي عند معالجته لبعض الاشكاليات بدلاً من أن يعالجها بالتأمل المعجب يقفز إلى الأمام في الخبرة إذ يعيش فيها كما تعيش الأسماك في الماء" (٢) وهذه أبرز مبادئ الفلسفة البراجماتية من خلال استقراء مقولات روادها، وما كتب عنها من مؤلفات تم الرجوع إليها عند إعداد هذا البحث. يعرضها الباحث كما يلي :

١ - القول بالنسبية وإنكار الحقائق المطلقة، والقيم الثابتة، حيث ترفض البراجماتية كل شكل من أشكال المطلق أو الثابت . فمن أبرز ما يميز البراجماتي أنه لا يعترف بالمقولات الخالدة، التي تتسم بالثبات والإطلاق، إلا ما ارتبط بالتجربة المفيدة للفرد . ويرى (بيرس) أن "طرائق الميتافيزيقيين في الاستنباط تصطنع على أساس فروض من عندهم ويصلون به إلى براهين يصفو بالصواب ، الذي لا يتعرض للتعديل ، على ضوء ما قد تكشف عنه البحوث العلمية" (٣)

. يقول جيمس : إن البراجماتي "يولى ظهره بكل عزم وتصميم إلى غير رجعة لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة العزيزة على الفلاسفة المحترمين، إنه ينأى بعيداً عن التجريد وعن عدم الكفاية وعن الحلول الكلامية ، و عن التحليلات القبلية ... وعن المبادئ الثابتة وعن ضروب المطلق والأصول المزعومة ، وهو يولى وجهه ... شطر الحقائق والوقائع شطر العمل والأداء والمزاولة وشطر القوة". (٤). و يعرف جيمس البراجماتية بأنها الاتجاه الذي يصرف النظر عن الأمور الأولى ، والمبادئ، والمقولات، والاحتميات، والضرورات المفروضة، لكي يتجه ببصره نحو الأمور النهائية والآثار والثمرات والنتائج والوقائع (٥)

(١) الكحلان حسن محمد ، الفلسفة التقدمة ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٣ ، ص ١٠١

(٢) المصدر نفسة ، ص ١٠١

(٣) محمود زكي نجيب ، من زاوية فلسفية ، ط ٤ ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٩٣ ، ص ٢٠٤

(٤) وليم جيمس ، البرجماتية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٥ ، ص ٧١

(٥) المصدر نفسة ، ص ٧٦

٢- البراجماتية فلسفة ذات نزعة فردية، حيث "اهتمت بالإنسان الفرد ووضعت في الاعتبار الأول ، وذلك لأن الفرد حامل الفكر المبدع، وصانع العمل وصاحب تطبيقه (١)، كما تزعم. فلذا جعلت من الإنسان الفرد مصدرًا للقيم والمعرفة، ومعياريًا للحكم بالخير أو الشر. ويعلل جيمس ذلك بقوله: "إن مصدر العلم الأخلاقي إنساني بحت، وذلك أن الإنسان هو الكائن الخلقى الوحيد في العالم. ولذا فالمعقول أن يكون مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة أن الإنسان هو الخالق الوحيد للقيم في ذلك العلم وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا باعتباره هو" (٢).

٣ - تنظر الفلسفة البراجماتية إلى المنفعة باعتبارها هي المعيار الذي يحاكم إليه صدق الأفكار والقيم، بل وكل شيء، حيث يمكن القول أنها إغراق في النفعية المادية

حيث ، يقول جيمس: فعلا إن صدق الفكرة يقاس بمدى ما تحققه من قيم فورية منصرفة ... وقد قصد جيمس من ذلك التأكيد على الدور المؤثر الذي ينبغي أن تلعبه الأفكار والمعتقدات في حياتنا العملية ، إن هذه الأفكار أو النظريات ينبغي في نظره أن تصبح أدوات ووسائل يمكننا بواسطتها أن نتحرك إلى الأمام، ونمضى قدما في حياتنا العلمية، إن فكرة ما أو نظرية ما تكون صحيحة بقدر ما تساهم بنجاح في حل مشكلة معينة، وبقدر ما تساعدنا في تجاوز هذه المشكلة والتقدم إلى الأمام" (٣)

٤ - تعتبر الفلسفة البراجماتية التجربة هي مصدر المعرفة، مع التأكيد على النتائج العملية لأي فكرة أو تجربة. فهي فلسفة عملية تعتمد على التجربة في المقام الأول. فالتجربة، وما يترتب عليها من نتائج عملية ، هي المحك لقبول الأفكار أو ردها. يقول بيرس : فالفرضية يجب أن تكون قابلة للاختبار بواسطة التجربة بقدر ما هي قابلة للعمل". ويقول: "فأي فرضية يمكن أن تكون مقبولة ... شريطة أن تكون قابلة للتحقق التجريبي . فقط بقدر ما تكون قابلة لمثل هذا التحقق وهذا على نحو تقريبي اتجاه البراجماتية" (٤).

ويضيف أيضاً : "لكي نتأكد من معنى أي مفهوم عقلي يجب أن نأخذ بعين الاعتبار النتائج العلمية التي يمكن أن تحصل بالضرورة من ذلك المفهوم ، ومجموع تلك النتائج يشكل المعنى التام لذلك المفهوم" (٥).

(١) فرحان محمد جلوب ، دراسات في فلسفة التربية ، العراق ، مطبعة التعليم العالي ، جامعة الموصل ، ص ١١٤

(٢) زيدان محمود فهمي ، وليام جيمس ، الاسكندرية : دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر ، ٢٠٠٥ ، ص ١٦٤

(٣) مصطفى النشار ، مدخل جديد الى الفلسفة ، القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ ، ص ١٦٦

(٤) المرهج علي عبد الهادي ، الفلسفة البرجماتية ، لبنان : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٨ ، ص ١٤

(٥) عبد الحفيظ محمد ، الفلسفة والنزعة الانسانية ، الاسكندرية : دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر ، ٢٠٠٦ ، ص ٨٦

وعندما نتناول الجذور الفلسفية للبرجماتية لا نستطيع تجاوز الاسس الثقافية الامريكية التي انطلق منها الفكر البرجماتي ، ولا يمكن ان تعد البرجماتية كاتجاه فلسفي امريكي مالم نتعرض للحديث عن اهم الاتجاهات الفكرية الأمريكية التي سبقت البرجماتية في الضهور والتي كان لها الدور الرئيس في بناء الانسان الامريكي وسقل ثقافته ، حتى اصبح بإمكانه ان يبني اتجاها خاصا به يتنافس والاتجاهات الاوربية كالمثالية في المانيا والتجريبية في بريطانيا وغيرها وعلى الرغم من التأثير الواضح للفلسفة الانكليزية على الفكر الامريكي الا ان المثقف الامريكي استطاع ان يتخلص من هيمنت مفكري وفلاسفة انكلترا من خلال الفكر البرجماتي الذي مثل البنية الفكرية التي توسم الوعي القومي الامريكي ، فقد جاء التفكير البرجماتي نتيجة او من حصيلة التراكمات الفكرية

وفيما يلي عرض لاهم الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في امريكا والتي من الممكن عدها اسسا ثقافية وفكرية لم تكن البرجماتية الا نتيجة طبيعية لها من الممكن عد هذه الاتجاهات مجتمعة السبب الرئيس في ولادة البرجماتية :

الاتجاه الاول : الاتجاه الديني

لقد كان نشوء امريكا مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتيارات الدينية ، حيث سادت امريكا الحركة البريوتانية التي بدأت مع (بيتر راموس). الفرنسي الاصل (١٥١٥ - ١٥٨٢) ومن جاء بعده ، وقد كانت في اصلها نزعة انسانية افلاطونية استمرت حتى القرن السابع عشر حتى سمي هذا القرن بل عصر البيورتاني لسيادته في تلك المدة . (١) يلح اصحاب هذه الدعوة على ان (الله او العناية الالهية هي المقياس الاخير وليس الانسان فنتائج اعمال الناس ومصائرهم وامورهم لا يقررها اكتفائهم الذاتي مهما عضم ، ولا تقرررها العلل والاسباب الدائمة وانما تقرررها مشورة الله وعنايته ، الذي يأمر الزمان والصروف بحسب مشيئته) (٢)

(١) علي عبد الهادي المرهج ، الفلسفة البرجماتية ولحضة تشكيل الخطاب البرجماتي ، ط ١ ، دار دجلة الاكاديمية ، ٢٠٢١ ، ص٦٣ _ ٦٤

(٢) فورستر نورمن ، ٣ قروون من الادب ، ج ١ ، بيروت ، دار الحياة ، ص ٢١

واصل البيوريتان الدعوة الى (الكالفينية) (١) والتي تؤكد ان (جميع الممالك ينبغي ان تصلح دولا مقدسة) (٢) وان (الله هو الذي سيختار الذين سيخلصون ، وانه هوة الذي يمنح الخلاص الكامل لهؤلاء فقط ونعمته كافية لخلاص المختارين ، وان النفس التي تعاد اليها الحياة مرة لم تبوء اليها بلخسران .. وسبب اتفاق النزعة البيوريتانية مع النزعة الكالفينية هو ان مبادئ الاخيرة لا تتنافى وتعاليم الكتاب المقدس ، بل تعززها وكذلك تضرتها في ان للانسان حقا في قراءة الكتاب المقدس وتفسيره لنفسه)

وقد كانت هذه النظرية تتفق ونضرة (راموس) في التخلص قدر الامكان من سلطة الكنيسة وتزود العلمانيين بالادوات الاعقلية التي يقوضون بها امتيازات القساوسة (٣) اعابت (البيوريتانية) بناء افلاطونية (راموس) المؤسسة علة الفن الالهي في صورة نفسية (للحب الافلاطوني) (٤) وجعله غاية الوضوح ، (ان هذا الحب المقدس او السماحة ليس شيئا حسيا او انفعالا خالصا فهو تجريبي (٥) والجديد كدفي الحرية البيوريتانية انها كانت اقرب الى الذهب الفلسفي الخالص منها الى المنهج الانجيلي على الرغم من المسحة الدينية التي تسم جميع كتاباتهم وبشكل واضح نتيجة تاثرهم ب (راموس) الذي كان متأثرا بفلسفة (افلاطون) اكثر من تاثره بل تيارات الدينية .

والى حد ما يبدو ان التيار الديني لم يكتب له النجاح ، ذلك انه لم يستطع ان يستوعب مجموعة العقول المختلفة التي كونت امركا ، لانه نوعا ما حدد من قدرة الانسان الذي جاء ساعيا الى هذه الارض البكر وكله طموح في ان يجد ذاته التي يحققها في بلده ، فقد انحدرت الى هذه الارض جماعتان من البشر الاولى ، جائت (لتبحث عن الذهب والثراء العاجل) (٦) ، لان (اداب ما بعد اكتشاف امريكا قد صورتها بانها بلاد الذهب والفضة) (٧)

(١) المصلح البروتستانتى الفرنسى والمولود في جنيف ، نسبة الى جون كالفن .

(٢) المصدر نفسة ، ص٢٢

(٣) شنايدر ، تاريخ الفلسفة الأمريكية ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٣

(٤) يربط افلاطون الحب بلخير ، فهو يؤكد ان (الحب شيء جميل ويرتبط الجميل دائما بلخير فالحب هو الخير اذن) ، وليام النيري ، محاور المادب نفسها ، دار المعارف ، مصر ، ص ٥٨

(٥) شنايدر ، تاريخ الفلسفة الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣

(٦) بنيه ستيفن تنسنت ، أمريكا ، مكتبة الولايات المتحدة للاستعلامات ، ١٩٤٥ ، ص ١٣

(٧) زيادة فرحات ، تاريخ الشعب الأمريكي ، مكتبة الولايات المتحدة للاستعلامات ، ١٩٤٥ ، ص ١٦

والثانية التي جاءت بسبب اخر هو (لانهم ارادو ان يعبدو الله على طريقتهم الخاصة طريقة اساسها البساطة والايمان الخالص ، طريقة غير تلك التي تبنتها الكنيسة المعترف بها في انكلترا حينذاك)

(١) لقد هاجرت هذه الجماعة من إنكلترا الى أمريكا هربا من الانانية الجشعة التي سادت إنكلترا انذاك محاولة منهم لبناء مجتمع يقوم على المثل العليا (٢) . يبدو ان هذا التيار لم يوافق بين هاتين المجموعتين ، ذلك ان ظروف المرحلة في أمريكا قد تغيرت وبدا الصراع من اجل الاستقلال والتخلص من الهجمة الانكليزية ، فقد كانت المرحلة تفرض على ان يكون هناك اناس يدعون الى تنوير الناس وتحفيزهم للتفكير سوية على الرغم من الفوارق الموجودة عند الإنسان الامريكي سواء في الاهداف ام في الغايات ، فجاء (عصر الاستنارة) الامريكي ليوفق بين مطالب الحياة ومتعتها ومطالب الروح ، فهو تيار عقلي بمسحة دينية او بتسمية اخرى ديني دنيوي .

(١) بينية ستيفن ، أمريكا ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .

(٢) زيادة فرحات، تاريخ الشعب الأمريكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩ .

ثانيا : عصر الاستنارة (عصر العقل) (١)

ما ان جاء القرن الثامن عشر حتى بدأ التيار البيوريتاني بل انحسار ، فلم يعد زعماءه قسسا تاثرو بلفلسفة ، بل فلاسفة تاثرو بقدر او اخر بالتيارات الدينية . وقد توضحت بوادر الاتجاه العقلي عند كل من (فرانكلين) (٢) و (جفرسون) (٣) اللذين شاركا مشاركة فعالة في اصول حصول امريكا على الاستقلال السياسي من بريطانيا ، وقد كان (لوك) مصدر التفكير السياسي الذي ساد أمريكا في تلك المدة فلم يكن الفكر السياسي الأمريكي الا تاويل لما كتبه لوك (٤)

كانت نظرية (لوك) في الدولة الاثر الكبير في دعوة (فرانكلين) و (جفرسون) في البحث عن استقلال أمريكا و اعلان الاستقلال ، ف (لوك) يؤكد على ان الناس ولدوا احرارا وسواسية لان العنصر العقلي يولد صفحة بيضاء ثم تاتي الخبرات عن طريق الحواس فتؤثر في تلك الصفحة . وبذلك يبدأ الاختلاف بين الناس في مدى خبراتهم فليس في هذا التفاوت في طبيعة العنصر العقلي الروحاني ، بل هو في اجزاء البدن المادية كتركيب المخ وما الى ذلك (٥)

(١) دو نوفان فرانك ، حول مذكرات بنيامين فرانكلين ، ترجمة : احمد حمودة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ١٦١ . كذلك راجع في الكتاب نفسة فيما يتعلق بشخصية فرانكلين ورائه .

(٢) هو بنجامين فرانكلين ، فيلسوف وسياسي معروف شغل مناصب سياسية منها رئيسا للمجلس التنفيذي لولاية بنسلفانيا (١٧٠٦ _ ١٧٩٠) .

(٣) جفرسون ، درس القانون في كلية وليم وماري ، عين رئيسا للجمهورية لمرتين ورفضها المرة الثالثة .

(٤) محمود زكي نجيب ، حياة الفكر في العالم الجديد ، ط ٣ ، دار الشروق ، بيروت ، ص ١٤

(٥) المصدر نفسة ، ص ٣٢

ثالثا : العصر الرومانسي (١)

ينبغي التأكيد على ان تاريخ الفلسفة الامريكية يتحرك داخل قوس واسع من الصلابة الى الصوفية ، اذ انه بدأ مع التيار الروحي وانتقل الى التيار العقلي وعاد الى التيار الديني مرة اخرى متمثلا ب (امرسون) (٢) ومن جاء بعده امثال (ثورو)

(١٨١٧_١٨٦٢) وغيرها . نشأ هذا الاتجاه متأثرا بالنزعة (الهيجلية الترنسندتالية) (٣) اضافة الى وجود مذهب التوحيد الذي يرفض الاخذ بعقيدة التثليث (٤) وقد بقيت الثقافة الدينية سائدة على الرغم من عدم انتماء الادياء لاي مذهب من المذاهب .

ولكون (امرسون) صاحب الاثر الاكبر في الفكر الفلسفي الامريكي الذي ساد من بعده ، فاننا سنقصر الحديث عنه ومن الجدير بالذكر ان كتابات (امرسون) ونتيجة لما ذكر سابقا ، قد اتسمت بالشاعرية والرومانسية المفرطة ، حيث كان امرسون يتخطى العقل ويعتقد ب

(روح عليا) وهي تلك الروح المطلقة التي يكون كل شيء جزء منها (٥)

(١) الرومانسة كحركة فلسفية عامة ارتبط مفهومها في المرحلة الابتدائية بالمثالية الالمانية ، وقد اشتركت الرومانسية مع المثالية الالمانية في الغاية الاساسية لتوسيع المعرفة الى مجال الشيء بذاته او في حقيقة

(٢) ولد امرسون في مدينة بوسطن (١٨٠٣ _ ١٨٨٢) ، اهم اعماله : يوميات امرسون ، الطبيعة ، قطبة العلم الأمريكي .

(٣) تتلخص فلسفة هيجل بقول بفكرة الروح المطلقة الازلية التي تجلت في كل كائن جزئي متعين ولا يجوز بهم ذلك الكائن الا من خلال الكل المطلق الشامل

(٤) كنيف ماركوس ، ادب الولايات المتحدة الأمريكية ، دار الحمامي ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١٣٩

(٥) محمود محمود ، مختارات من امرسون ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٥

ونرى هنا ان تأثير (النظرية اللاماركية) من حيث علاقة الانسان مع الطبيعة وفي الوقت نفسه (النظرية الهيجيلية) في اثار الروح المطلقة وعده الطبيعة الروح التي تسير في مقتضاها مجموعة الارواح التي عليها ومن ثم توصل الى انه توجد في الذهن موازنة بين قوانين الطبيعة وقوانين الفكر .

استقطبت افكار (امرسون) هذه الكثير من الشباب ، مما ساعده في ان يدعو الشباب الى الاستقلال الفكري عن اوربا بعد حصولهم على الاستقلال السياسي ، فقد زرع في انفسهم حب النقد وخاصة لاراء الاوائل من المفكرين مثل شيشرون و لوك وبيكون وعدم الاعتقاد بأن هؤلاء لا يخطأون فهم ايضا قد كانوا شبابا في المكتبات عندما الفو هذه الكتب (١)

ومن الجدير بالذكر ان فان وسب نضر الى (امرسون) نضرة شبيهة بنضرتة ل

(فرانكلين) من حيث علاقته في افراز الحركة البرجماتية ، حيث ذهب الى القول بان امرسون قد وضع حجر الزاوية للمذهب الذرائعي (البرجماتي) (٢)

وقد ذهب (زيدان) الى ان تأثير (هنري جيمس) والد (وليم جيمس) باتجاه (امرسون) وعلاقت الصداقة بين الاثنين لا شك انها تدعو الى ان الاول (هنري) قد لقن الثاني (وليم جيمس) ما تعلمه ، خاصة وان (جيمس) قد كان متأثرا باتجاه عائلته ويذهب زيدان الى اننا في افكار (امرسون) نجد بذور الفكر البرجماتي (٣) وبذلك يمكن لنا عد الاتجاه الرومانسي ركيزة اساسية ساعدت في ضهور الفكر البرجماتي .

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

(٢) وسب فان ، الحكماء السبعة ، دار مجلة الشعر ، ١٩٦٣ ، ص ٧٤

(٣) زيدان محمود فهمي ، وليام جيمس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩

رابعاً : نظرية التطور (١) ودورها في صياغة الفكر البرجماتي

بدأت نظرية التطور (٢) تأخذ مكانتها بين الاوساط الفكرية الأمريكية عند ظهورها على يد (دارون) (١٨٠٩ _ ١٨٨٢) بشكل واضح واستقطبت عددا كبيرا من المثقفين ، وايضا الجمهور ، وهذه النظرية استندت على نظرية (لامارك) في الطبيعة والتطور ، كان (امرسون) وكما ذكرنا سابقا احد المثقفين والمفكرين الذين ساعدوا في انتشار هذه النظرية في أمريكا .

جاءت نظرية التطور كرد فعل على الحركات المثالية والدينية ، اي عودة للصلابة مرة اخرى عززت نظرية التطور النزعة العلمية التي يميل اليها الامريكان منذ تاسيس أمريكا وحتى ظهور البرجماتية . وقد كان الصراع الفكري ما بين الميول الدينية والرومانسية وبين مبادئ نظرية التطور احد اهم الأسباب التي ساعدت على ظهور البرجماتية .

تبنت أمريكا فلسفة جديدة تفسر عالما حيويًا دائم الحركة اذ لم يعد مصدرها التأمل الروحي ، بل اصبحت فرضا قابلا للاختبار كذلك الاخلاق بعد ان تبين انها نتيجة للتطور الاجتماعي وانها تتأثر بالمحيط اصبحت من الحاجات الاجتماعية الراهنة وقد قام بتشكيل فلسفة من هذا النوع لاسلافه هم بيرس وجيمس ودوي (٣) .

(١) راجع ايضا : زيدان محمود ، المصدر السابق ، فيما يتعلق بنظرية دارون وعلاقته مع جيمس ، ص ٢٥ _ ٢٨

(٢) توصل لامارك في البداية الى القول بنظرية التطور ، وقد اعتمدت نظريته على قوانين هما قانون الصفات المكتسبة ، وملخص هذا القانون ان الصفات تورث من جيل الى اخر وان صفات الفرد ماهي الى نتيجة فعل البيئة فيه منذ العصور الاولى لخلق الحياة ، وقانون الاهمال والاستعمال اي ان هذا العنصر ينقرض او ينمو بحسب الحاجة اليه اما بالنسبة لدارون فتتلخص نظريته بالقول ان الانواع الموجودة على سطح الأرض تتزايد حسب متواليه هندسية ، وان عدد النوع يبقى كما هو ثابت وان هناك صراع بين هذه الانواع من اجل البقاء وهذا الصراع يتم بحسب الخبرة ، والتطور يحدث نتيجة للاختيار الطبيعي والقول ايضا بالصفات الوراثية . راجع كتاب دارون : اصل الانواع ، ترجمة : اسماعيل مضهر ، ومقدمة اسماعيل مضهر للكتاب ، دار النهضة ، بيروت _ بغداد ١٩٧٣ .

(٣) زيادة فرحات ، تاريخ الشعب الأمريكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥١ _ ٢٥٢ .

ننتهي من هذا المبحث الى القول انه مادامت امريكا على حد تعبير (والت وايمان) (١٨١٩ _ ١٨٩٢) شعب يتكون من عدة شعوب (١) وكونها خليطا متجانسا من عقول مختلفة فهي تفتقد بالتاكيد الى الرموز التاريخية الروحانية الموروثة ، مما جعلها تحاول ان تجد لها مقياسا اخر للتقدم الحضاري هو دراجة الذكاء التي تصل اليها الذهن المشترك بحيث تكون له السيادة على الثروة وعلى القوة الوحشية ، وبعبارة اخرى اصبح مقياس تقدم الحضارة هو تقدم الشعب (٢) ، وقد كان هذا المعيار هو السبب الذي ساعد على تقوية ثقة الامريكيين بانفسهم وفي مقدرتهم على بناء دولة مستقلة لها السيادة على الثروة والقوة التين من خلالهما يستطيع الامريكان ان يكونوا دولة عضى ، وحول هذا يقول (وينثروب) (٣) يجب ان نفكر اننا سنكون مدينة فوق تل ، وانصار جميع الناس مصوبة نحوها (٤) ، والبرجماتية على الرغم من انها اتجاه فلسفي ، لكنها وليدة هذا الفكر الذي يتخذ من الذكاء طريقا للوصول الى السيادة . فالبرجماتية قد طبقت هذا المعيار الذي من الممكن ان يعد افضل طريقة للتخلص من الفارق بين امريكا ودول العالم الاخرى وقد طبقت قول (موريس كوهين) ان الشهرة والنجاح في انتظار من يقوم بتقطير تاريخنا كلة (٥) وفعلا هذا ما فعلته البرجماتية حتى وصلت الى ما وصلت اليه اليوم ، فعلا حد قول (نيتشة) فعل الماضي نبوءة دائما ولن تفهموه الا بوصفكم من بناء المستقبل والعارفين بالحاضر (٦) . وما كانت البرجماتية لتسعى الى غير ذلك وهو ما حققته بالفعل .

(١) ليرنر ماكس ، امريكا كحضارة ، المطبعة الحديثة ، مصر ، ج ١ ، ١٩٦٧ ، ص ١٢٥

(٢) شنايدر ، تاريخ الفلسفة الامريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٥ .

(٣) وينثروب ، شخصية امريكية معروفة ، ولد في انكلترا عام ١٥٨٨ وتعلم في كامبرج ، نال شهادة الحقوق ، قادة شركة خليج ماسا شو ستس عن الرحلات الى امريكا ، توفي عام ١٦٤٩ .

(٤) كرونن روبرت ، موجز تاريخ الثقافة الامريكية ، دار النشر الاهلية ، عمان ، ١٩٩٥ ، ص ٣٢ .

(٥) ليرنر ماكس ، امريكا كحضارة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٥ .

(٦) المصدر نفسة ، ص ٧٧

المبحث الثالث

موقف البرجماتية الامريكية المعاصرة من العلمانية والديمقراطية والحدائثة

المطلب الأول: موقفها من العلمانية :

أولاً: مفهوم العلمانية :

بالرجوع إلى أصل الكلمة في اللغات الأوروبية نجد أنها مشتقة من الكلمة اللاتينية *Saeculum* وتعني العصر أو الجيل أو القرن، أما في اللاتينية العصور الوسطى فإن الكلمة تعني العالم أو الدنيا، وهناك لفظ لاتيني آخر للإشارة في العالم وهو *Mundus*

- ولفظة *Sécularism* مرادفة لكلمة اليونانية *Aeon* والتي تعني العصر، أما *Mundus* فهي مرادفة للكلمة كوزموس *Cosmos* والتي تعني الكون، في مقابل كيوس *Chaos* بمعنى فوضى، ومن

هنا فإن كلمة سيكولارزم *Sécularism* تؤكد على البعد الزماني أما *Mundus* فتؤكد على البعد المكاني. (١)

وفي موضع آخر يعرف معجم المصطلحات السياسية و الإستراتيجية العلمانية على أنها مصطلح يعني بعد الدولة واستقلالها عن العقيدة ، بحيث لا تقوم وفقاً لمبادئ دينية لان الدولة مخلوق إنساني خلقته الأغراض الإنسانية وهي التي تعمل على استمراره .

ويعني مصطلح العلمانية في اللاتينية كما سبق الذكر العالم أو الدنيا وقد استخدم من قبل مفكري عصر التنوير بمعنى المصادرة الشرعية لممتلكات الكنيسة لصالح الدولة ، ويمكن وضع مفهوم العلمانية من خلال تعريفها بأنها العقيدة التي تذهب إلى أن الأخلاق لا بد أن تكون لمصالح البشر واستبعاد كل الاعتبارات الأخرى المستمدة من الإيمان بالإله أو الحياة الآخرة فهي ببساطة فصل الدين عن الدولة فصلاً تاماً. (٢)

الفرع الثاني : تعريف العلمانية في الفكر العربي المعاصر : وفي اللغة العربية أول ما ينبغي الإشارة إليه أن كلمة علمانية هي حديثة الاستعمال، ولعل ما يلفت انتباه الباحث عند تصفح القواميس العربية أو ما يكتب في هذا الحقل التخصصي هو ندرته وحالة الالتباس الدلالي لمصطلح علمانية ومشتقاته الأخرى. (٣)

(١) محمد براهيم مبروك، حقيقة العلمانية و الصراع بين الإسلاميين و العلمانيين، ج١، مصر، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ٢٠٠٢، ص ٥.

(٢) إسماعيل عبد الفتاح ، معجم المصطلحات السياسة والاستراتيجية ، القاهرة ، العربي للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨ ، ص ١٩٥ .

(٣) عزيز العظمة ، العلمانية من منظور مختلف ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠١ ، ص ١٧ .

توجد في المعجم العربي ترجمات مختلفة لكلمة " سيكولار " و "لاييك " حيث تعني :

- العلمانية بكسر العين نسبة إلى العلم . وهو ما لم يتفق عليه المفكرين العرب.

- العلمانية بفتح العين نسبة إلى العلم بمعنى " العالم " وهو المعنى الأقرب .

- الدنيوية أي الإيمان بأنها الدنيا ولا حياة أخرى سواها.

- الزمنية بمعنى أن كل الظواهر مرتبطة بالزمان وبالذات ولا علاقة لها بأي ماورائيات. (١)

يصف فؤاد زكريا العلمانية " بأنها الدعوة إلى الفصل بين الدين والسياسة " ويلتزم الصمت بشأن مجالات الحياة الأخرى (الاقتصاد - الأدب - الجنس... إلخ) ولكن الدكتور فؤاد زكريا في كتيبه المهم المعنون بالنموذج الأمريكي بأنه " مجتمع مادي " ، بل من أكثر المجتمعات مادية في عالمنا المعاصر التي تعرف الإنسان باعتباره كائنا لا يعمل إلا من أجل المزيد من المال ، ومن الأرباح ، ومن المستوى المادي " المرتفع ، يرفض الدكتور فؤاد زكريا هذه المادية العدمية التي تؤدي 'بالإنسان إلى آثار جانبية ويضع في مقابلها القيم الإنسانية والمعنوية ثم يطرح رؤية للإنسان مختلفة عن الرؤية المادية التي تهيمن على المجتمع الأمريكي . فما يحرك الإنسان -حسب هذه الرؤية الإنسانية ليست الماديات وحدها ، لان في الإنسان قوى تعلو على السعي المباشر إلى الكسب والاقتناء ، أي تعلو على المادية ، ويبدو أن هذه هي المرجعية الثنائية التي تجعل من الإنسان إنسانا.

ويذهب محمود أمين العالم إلى أن العلمانية ليست مجرد فصل الدين عن الدولة وإنما هي رؤية وسلوك ومنهج وهذه الرؤية تحمل الملامح الجوهرية لإنسانية الإنسان وتعبر عن طموحه الثنائي الروحي والمادي للسيطرة على جميع المعوقات التي تقف في طريق تقدمه وسعادته وازدهاره. كل هذا يعني أن علمانية العالم لا تسقط في النسبية والعدمية ولا ترفض فكرة الكل والجوهر والروح والمطلق . في هذا الإطار يرى الأستاذ العالم أن العلمانية لا تتعارض مع الدين بل لعل العلمانية تكون منطلقا صالحا للتجديد الديني نفسه بما يتلاءم ومستجدات الحياة والواقع. (٢)

يرتبط ظهور العلمانية تاريخيا بتعليم العلوم العقلية في المدرسة مقابل العلوم الدينية في الكنيسة ، إن مفردة العلمانية عندما ترجمت إلى اللغة العربية إنما ترجمت بهذا اللفظ العلمانية (ذات الصلة اللفظية بالعلم) لان اللذين تولوا الترجمة لم يفهموا من كلمتي الدين والعلم إلا مافهمه الغربي المسيحي منها والدين والعلم في المفهوم الغربي متضادان متعارضان ، فما يكون دينيا لا يكون علميا ، وما يكون علميا لا يكون دينيا ، فالعلم والعقل يقعان مقابل الدين ، والعلمانية والعقلانية في الصف المضاد للدين (٣)

(١) إنعام أحمد قدوح ، العلمانية في الإسلام ، بيروت: دار السيرة ، ١٩٩٥ ، ص ١٢ - ١٦ .

(٢) عبدالوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد ١ ، مصر: دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩ ، ص ٢٣٥-٢٣٧

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٣٢-١٣٣

ثانياً: موقف البرجماتية من العلمانية :

لقد اتسمت الحياة الأوروبية بالتوتر و الصراع الشديد الذي تأثر بالتوجهات السياسية والتعصب الديني ،مما أدى إلى حدوث عدة حروب طاحنة كان آخرها حرب الثلاثين عاما ، أين وقعت بعدها معاهدة واستفاليا سنة ١٦٤٨ لإحلال التوازن بين القوى الأوروبية. وهي تسوية أوروبية عامة أنهت حرب الثلاثين عاما (١٦١٨ - ١٦٤٨) بين الألمان البروتستانت والألمان الكاثوليك ، و كانت المفاوضات قد بدأت في العام ١٦٤٤ ، في مؤتمرين عقدا في وقت واحد في مونستر ، و اوزنابروك ، و انتهاء بإبرام معاهدين كونتا تسوية الصلح ، وكانت أهم الدول المشتركة في المفاوضات الحليفين ، فرنسا و السويد ، و خصومهما : إسبانيا ، الإمبراطورية الرومانية المقدسة و الدويلات التابعة للإمبراطورية و هولندا . وقد أرضت المعاهدتان اللتان وقعنا في عام ١٦٤٨ المطالب الفرنسية والسويدية ، حيث خرجت فرنسا مظفرة قوية الجانب ، وقد واصلت القتال ضد إسبانيا حتى صلح البرانس في سنة ١٦٥٩ . (١)

وأول مرة في التاريخ تتخذ فيها لفظة العلمانية صفتها السياسية كان في وثيقة واستفاليا (مدينة في غرب ألمانيا) الصلحية سنة ١٦٤٨ التي وضعت حدا لحروب أهلية طاحنة شهدتها أوروبا طيلة فترة طويلة من الزمان ، وهذه الوثيقة، حولت لفظ العلمانية من مدلوله الفلسفي إلى منجز سياسي حيث نصت على جملة من المكاسب والإجراءات اعتبرت تجسيدا وترجمة لمدلول العلمنة. (٢)

يقول وليام جيمس W.James عن الاتجاه البراجماتي انه اتجاه تحويل النظر بعيدا عن الأشياء الأولية، المبادئ ، النواميس و الفئات ، الحتميات المسلم بها وتوجيه النظر نحو الأشياء الأخيرة ، الثمرات ، النتائج ، الآثار، الوقائع ، الحقائق. (٣)

المصلحة و المنفعة و اللذة هم أساسات البراجماتية، فالفكر البراجماتي يقوم على تلبية حاجات الفرد بلا مبالاة في النتائج التي قد تصيب الآخرين ، و بالتالي فان فكرة المنفعة العامة لم تكن هدفا حقيقيا لوليم جيمس W.James بل كانت المنفعة الخاصة هي السائدة في الفكر البراجماتي.

(١) عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج ٧ ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٥ ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .
(٢) سامي براهيم ، العلمانية في جوهرها فصل بين السياسة والقدااسة وليس بين الدين والساسة ، جريدة "الصباح" (يومية - تونس) ،
عبد ٢٦ مارس ٢٠١١

(٣) محمد إبراهيم مبروك ، المرجع في العلمانية حقيقة العلمانية والصراح بين الإسلاميين والعلمانيين ، ج ١ ، مصر ، مكتبة ومطبعة
الاشعاع الفنية ، ٢٠٠٢ .

و قد كان لجيرمي بنتام J.Bentham الفضل الأكبر في استلهم مبدأ المنفعة كأساس لعلم التشريع و حتى لعلم الأخلاق لهلقتيوس الذي يحمل عنوان (في الروح) الصادر عام ١٧٦٩ حيث يقول جيرمي بنتام Bentham في كتابه (مقدمة لمبادئ الأخلاق التشريع) لقد وضعت الطبيعة تحت حكم سيدين : الألم و اللذة ، فهما وحدهما يدلان على ما يجب أن نفعله ، و يقدران ما سنفعله ، إن معيار العدل و الظلم من جهة أولى وسلسلة الأسباب و النتائج من جهة أخرى مرتبطان ببعضهما، إنهما يحكمان و يتحكمان بكل ما نقول ... و نفعل ... ونفكر. (١)

و ولهذا فان فكرة الألم و اللذة هما المحددان الرئيسيان لكل جوانب الحياة و على هذا الأساس قام الفكر البراجماتي على يد تشارلز بيرس Peirce 1914-1839 ومفكرين آخرين .

يعد كارل ماركس مع شريكه فريديريك أنجلز زعماء المذهب الشيوعي أو الاشتراكية العلمية فقد انطلق ماركس في فكره من المراحل التي مرت بها المجتمعات الإنسانية التي عالجهما هيجل حيث أعجب بطريقته المنطقية ولكنه تعارض معه في أساس أن الأفكار ليست المحددة لمصير الإنسان ، بل الحالة المادية التي تتحكم في مختلف الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و هي السياسية و الأخلاقية ، فبالنسبة لماركس ليس الوعي الاجتماعي هو الذي يحدد الوجود الاجتماعي بل الثاني هو الذي يحدد الأول ، و بالتالي فان فهم و تعريف أي فلسفة أو نظرية أو أيديولوجية يستلزم أولا وأخيرا توضيح الوجود الاجتماعي الذي يشكل أساسها . (٢)

للنقد من إذا كان الفكر الماركسي قد حظي بأهم تطبيقاته في التجربة السوفييتية ومن خلالها فقد تعرضت هذه التجربة لفريق من المفكرين الماركسيين مما حدا بفريق آخر منهم إلى إعادة النظر بالفكر الماركسي بقصد تطويره وتلافي سلبيات التجربة السوفييتية حيث ظهر مجموعة من المفكرين

(١) جان جاك شوفاليه ، تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية ، ط٣ ، لبنان : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤

(٢) جون ميلنو، ماهو التراث الماركسي الحقيقي؟ تر: وحدة الترجمة ، مصر : مركز الدراسات الاشتراكية ، ١٩٩٥ ، ص ٧ ، ٨ .

المطلب الثاني : موقفها من الديمقراطية :

أولا مفهوم الديمقراطية :

الديمقراطية كلمة شائعة جدا في عصرنا بل هي كما قيل «من أكثر مفردات الفكر السياسي العالمي قدما بأصولها اليونانية» (١) لكن ذلك لا يعني وضوحها وسهولة الإمساك بها وتعريفها، فامتدادها التاريخي والتحويلات التي شهدتها أفرز تعددا في الديمقراطيات حتى لا نقول تعددا في التعاريف ، كل ذلك صعب من إمكانية «احتزالها نظريا في حدود تعريف قادر على القبض على مجموع دلالاتها» (٢) وعليه يبدو بديهيا طرح السؤال التالي : ماذا يقصد بالديمقراطية عموما ؟

الديمقراطية في اللغة والاصطلاح

أ- لغة : الديمقراطية كلمة يونانية تعني «سلطة الشعب أو حكمه»(٣) ومهما يكن من أمر فالمعنى الذي يثيره التحليل اللغوي نظري مثالي يقول فيه روسو : « إذا أخذنا عبارة الديمقراطية بكل معناها الدقيق نجد أن الديمقراطية الحقيقية لم توجد أبدا ولن توجد أبدا » (٤) وهو ما يصفه الجابري بقوله « أعتقد أن الذي استعملها أول مرة كان يقصد منها التعبير عن فكرة مثالية أكثر منها التعبير عن واقع حي»(٥)

ب- اصطلاحاً :

أعاد التحليل التعري للديمقراطية بأنها فكرة عالية و تحمل بصورة عامة غير أن النظر إليها من ناحية اصطلاحية يقود إلى تعدد وتنوع في التعاريف حتى أن رايمون بودون يصنف المصطلح ضمن ما سماه ب(المصطلح الأيديولوجي) (٦) ونعتقد أن تعدد التعاريف مبرر أكثر من مرة ، فالمصطلح يتسلم بالطابع التاريخي من جهة ومناظر باللوان الأيديولوجي الذي يصبغه من جهة ثانية، ومع ذلك يمكن التمييز بين ديمقراطيتين: ديمقراطية أئينا المباشرة، الديمقراطية التمثيلية ، ويوضح بوردين (بأن السؤال الأول هو معرفة ما اذا كنا نأخذ الكلمة في نفس المعنى عندما نقول : ان أئينا القرن الخامس كانت ديمقراطية وعندما نتكلم اليوم على الديمقراطيات الغربية الكبرى.(٧)

(١) عبد الرزاق عبد و محمد عبد الجبار ، الديمقراطية بين العلمانية والإسلام، ط١ ، دمشق ، حوران القرن دار الفكر ، ١٩٩٩ ، ص ١١ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها

- ينفرد أحمد الباحثين بالقول أن المتقرراطية نسب إلى ديمقريطس الحكيم اليوناني الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ٤٧٠١ ق.م ٣٦١ ق.م] لمزيد من الإطلاع راجع محمد بن عبد الكريم الجزائري : المتقرراطية والعلمانية في ميزان الإسلام، الجزائر مطبعة الريان ، ص ٥ . ومايليها

(٣) م- روزحال و ب. يودين : الموسوعة الفلسفية، ط٥، لبنان، دار الطليعة ، ١٩٨٥ ، ص ٢١٠ .

(٤) جون جاك روسو ، في العقد الاجتماعي، بيروت، لبنان، دار القلم ، ص ١١٨

(٥) محمد عابد الجابري ، الديمقراطية وحقوق الانسان ، ط٢ ، لبنان ، سلسلة الثقافة القومية ٢٦ مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧ ، ص ١٤ -

(٦) ر. بودونوف بوريكو : المعجم النقدي لعلم الاجتماع . ، ط١ ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٨٦ ، ص ٣١٠ .

(٧) المرجع نفسه ، والصفحة نفسه

من المعلوم تاريخيا أن الديمقراطية الحديثة على الأقل ذات منبت أوروبي ، فهي وليدة عقلانية تؤمن بالحرية وقيم الحداثة التي تدين لفلسفة الأنوار، تلك التي يصفها هشام جعيط بقوله: « تعد فلسفة الأنوار ظاهرة ثقافية أوروبية، واسعة الحركة ، نمت جوهريا كنقد مزدوج للدين والسياسة » (١)

فهي نقد للدين إذ قوضت جذور الإيمان وأحلت محله العقل ، وهي نقد للسياسة إذ تمثل ثورة على خضوع السلطة للكنيسة ، وهو ما أصبح يعرف بالعلمانية ، وكأن الديمقراطية تفترض ثقافة علمانية عقلانية مما يضعنا وجها لوجه أمام التساؤل التالي هل يلزم من هذه المقدمة أن الثقافة العربية الإسلامية تشكل عائقا أمام التحول الديمقراطي ينبغي إزاحته ؟ أم أن مسألة العلمانية تلزم المسيحية فقط ؟ وإذا لم تكن الثقافة الإسلامية العربية عائقا، فبأي معنى تكون الثقافة عائقا أمام التحول الديمقراطي؟.

تتحدد إجابة غليون على التساؤل السابق بداية من رصده لمفهوم الثقافة فهي تتحدد ضمن يسمى « علم اجتماع الثقافة» (٢) أي باعتبارها نظام أو بنية خاصة من المفاهيم والقيم التي تسمح بتحقيق التكيف وحل المشكلات المطروحة بمعنى آخر تنجح الثقافة كلما وقفت في إيجاد حلول للصراع القائم والتوتر الحاد بين الوعي والواقع أو بين الذات والموضوع أو بين الماضي والحاضر (٣) ... الخ

وإذا كنا نعلم أن التشتت الثقافي يغذيه العقل السجالي" الذي مر الحديث عليه فإن مظاهر التشتت الثقافي كثيرة نذكر منها صورة القطيعة بين الحديث والقديم ، « إن القطيعة المتزايدة بين الحديث والقديم لا تؤدي فقط إلى زوال الوحدة الثقافية أو الثقافة القومية وتفكيكها ولكنها تدفع أيضا إلى انحطاط كلا النمطين الثقافيين فتصبح الثقافة في ذاتها منبعاً إضافيا للتراجع الاجتماعي والحرب» (٤)

يعبر أحد الباحثين على هذا التيار بقوله : «إذا كانت الديمقراطية تمثل ساحة الممارسة السياسية للحرية ، فإنه وفقا لأولويات الفلسفة السياسية الليبرالية ، لا بد أن تكون العلمانية هي ساحة الممارسة العقلية للحرية ، حيث الفصل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية» (٥)

وكان الباحث يريد القول أن الثقافة العربية الإسلامية التقليدية، الدينية القائمة على المطلق والمتعالي والداعية إلى قيم خالدة أساسها إيماني لا تصلح تربة للديمقراطية بل لا تنمو إلا في نطاق ثقافة حدائية عقلانية، ناسوتية أي تكوين ما يسميه ناصيف نصار المجتمع العلماني العلمي" (٦)

(١) هشام جعيط : فلسفة الأنوار والفكر العربي الإسلامي، الجزائر ، مطبعة الجاحظية (التبيين)، العدد ١٤ ، سنة ١٩٩٩ ، ص ٨٧.

(٢) برهان غليون : اغتيال العقل، الجزائر، موفم للنشر ، ١٩٩٠ ، ص ٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٨-٨٩

(٤) برهان غليون : اغتيال العقل ، (مرجع سابق) ، ص ١١٦

(٥) عبد الرزاق عيد ومحمد عبد الجبار : الديمقراطية بين العلمانية والإسلام ، (مرجع سابق) ، ص ٣٤

(٦) ناصيف نصار : نمو مجتمع جديد، ط ٥ ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٩٥ ، ص ١٨٤.

ثانياً : موقف البرجماتية من الديمقراطية :

لا تختلف البراغماتية في المضمون وفي الهدف في قضية الحرية الفردية، أو الفردانية. وإن كانت تحد منها قليلاً ، خاصة علي المستوى السياسي ، بالنسبة لموقف الفرد الذي قالت أنه يجب أن يخضع في بعض الأحيان ومن خلال ما أسمته بمنهج النفوذ. (١)

نلاحظ أن هذه الحرية الفردية التي نادى بها البراغماتية وطبقها وليدة التعدد العرقي..و الثقافي والديني والفكري للمجتمع الأمريكي قد تجسدت من بين ما تجسدت في تأكيد هذه الفلسفة ، أو المنهج الفلسفي ، خاصة السياسية... وذلك حين قالت " أن عبارتين مختلفتين لفضا متفتحتين نتيجة ، و أثراً، إنما هما في الحقيقة عبارة واحدة، وعلى العكس من ذلك فإن عبارتين متفتحتين لفظاً ومختلفتين أثراً أو نتيجة ، هما عبارتين... وليس عبارة واحدة.

بذلك أسهمت البراغماتية، في توطيد الديمقراطية الفاعلة من خلالها كل الأبواب أمام حرية التعبير والتفكير وهي الحرية التي لا تقيم مثل صاحبها إلا بأثرها العملي في الواقع.

وإذا كانت البراغماتية ، خاصة براغماتية "بورس" قد هوجمت بشدة بدعوي أنها تنكر الحقيقة الموضوعية، تارة، وبأنها منهج فلسفي يدعي العلمية، ومناهضة الميتافيزيقا، ولكنه في النهاية منهج أو فلسفة ضد العلم، وفلسفة تصفي الحقيقة لتنتهي إلي "الأنا وحدي"، فإن ذلك لا يغير من طروحاتها هذه حول الفردية أو الفردانية وحول متطلباتها...المتمثلة بصورة خاصة في الحرية والديمقراطية.

وعبر إعلان الاستقلال الصادر عام ١٧٧٦ عن جوهر نظرية الديمقراطية بإشارته إلى حكومات ... تستمد سلطاتها العادلة من رضى المحكومين . بعد سبعة وثمانين عاماً من ذلك ، عندما كانت الولايات المتحدة الأميركية تخوض حرباً أهلية فيها ، وذلك بعد رفض ١١ ولاية منها نتيجة انتخابات عام ١٨٦٠ ، أعاد الرئيس أبراهام لينكولن طرح مبدأ الرضى بقوله حكومة من الشعب ، يختارها الشعب ، من أجل الشعب " . ومهما كانت صياغته فإن هذا المبدأ الأساسي يستلزم نظام انتخابات ، أي نظام " الاعتماد على الشعب " الذي نوه به جيمس ماديسون في العدد ٥١ من. مجلة الفدارلي باعتباره " السيطرة الأساسية للحكم . (٢)

أن نظام الحكم الأمريكي ،الذي بدأ بوصفه تجربة في الحرية والديمقراطية سنة ١٧٧٦، أثبت أنه مرن وقابل للتكيف بشكٍ لآفت في حين تُصنف الولايات المتحدة أحياناً كثيرة بوصفها ديمقراطية ، فإنها تُعرف بصورة أدق بكونها جمهورية دستورية فدارلية .

(١)انظر: نيمير العاني ، حول مفهوم الحقيقة في الفلسفة البرجماتية ، بيروت ، مجلة الطريق ، العدد ٦ ، ١٩٨٠ ،

(٢) دي غ ايرير ستيفنسون جونيور . مبادئ الانتخابات الديمقراطية . سلسلة مقالات أوارق

الديمقراطية ، عدد ٣ ، ص ١.

ماذا يعني هذا ؟ إن عبارة " دستورية " تشير إلى كون الحكومة في الولايات المتحدة تستند إلى الدستور ، الذي هو القانون الأعلى للولايات المتحدة . فالدستور لا يؤمن إطار العمل لكيفية تركيب الحكومة الفدرالية وحكومات الولايات وحسب ، بل وأيضاً يضع قيوداً ذات شأن على سلطاتها .

إن عبارة (فدرالية) تعني أن هناك حكومة قومية كما حكومات الولايات الخمسين . أما " الجمهورية " فهي شكل من أشكال الحكم يملك فيه الشعب السلطة ، لكنه ينتخب ممثلين عنه لممارسة تلك السلطة. (١)

كان للفلسفة السياسية عند الفيلسوف الانكليزي جون لوك ، الذي عاش في القرن السابع عشر ، تأثير كبير على التفكير الأميركي بشأن هذه العلاقة . وأكد لوك أن الشعب يوافق على العيش في كومنولث (مجتمع في دولة) (٢) كي تتمكن الحكومة من تطبيق القانون الطبيعي والحقوق الطبيعية . شملت حقوق الإنسان بطبيعتها امتلاك الحرية والملكية . أحتضن الأميركيون هذه الفكرة بصورة وثيقة بحيث أعتد خطابهم السياسي والدستوري مفاهيم قانون الملكية عند الإشارة إلى الحرية الشخصية نفسها ؛ فالأميركيون يمكنهم امتلاك حريتهم .

أعتقد لوك أيضاً أن الحياة كما الملكية يعتمدان على الملكية الشخصية ، لكن الاستخدام الفردي للملكية عليه ألا يطال الهدر أو استثناء أفراد آخرين من الوصول إلى الطبيعة وخيراتها . وهكذا واجه المندوبون إلى المؤتمر الدستوري العام ١٧٨٧ ، من بين مسائل أخرى ، مسألة كيفية تأمين حماية أفضل لثمار الحرية التي يعبر عنها حق الملك الخاص مع حق وصول الشعب إلى خيرات الأرض في نفس الوقت .

وضع هؤلاء المندوبون في الدستور الأمريكي شكلاً جمهورياً للحكم يوازن بين المصالح ، ويحتوي عناصر إقامة حكومة مختلطة . يدمج مفهوم الحكومة المختلطة بين العناصر التاريخية لكل من الحكم الملكي ، والأرستقراطية ، والحكومة الشعبية . يميل كل واحد من هذه الأشكال الثلاثة للحكم إلى التحيز لذاته . فإن هي تركت دون مراقبة دستورية فقد تقود كل منها إلى شكل متطرف من الاستبداد ، أو حكم الأقلية ، أو حتى الديمقراطية . كما قد تقود كل من هذه الميول لاستلام السلطة إلى تهديد حرية الناس بملكياتهم الخاصة ، رغم ذلك فإن كلاً من هذه المصالح تحتاج إلى نظام من الممثلين لها للمحافظة على مجتمع حسن التنظيم .

وينص الحل الذي اعتمده المندوبون إلى المؤتمر الدستوري على فصل السلطات بين فروع الحكم لكنه انشأ مع ذلك تشابكاً في وظائف الإدارات الحكومية ومن المهم ان هذا التشابك اقام نوعاً من التعادل بين الإدارات الحكومية اذ احتفظ كل فرع من فروع بسلطة كافية لموازنة سلطات الفروع الأخرى. (٣)

(١) ارنولد بول ، حول أمريكا كيف تحكم الولايات المتحدة ، وزارة الخارجية الأمريكية ، مكتب برامج الاعلام الخارجي ، ٢٠٠٤ ، ص ٣

(٢) موريس تشارلز ، رواد الفلسفة الأمريكية ، اسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص ١٢٥

(٣) غوردون موريس باكي ، سن القوانين في مجتمع ديمقراطي ، عدده ، ٢٠٠٥ ، ص ٣

المطلب الثالث : موقفها من الحداثة

أولا مفهوم الحداثة :

في اللغات الأجنبية (الإنجليزية و الفرنسية) نجد أن كلمة حداثة لفظ أوروبي المنشأ ففي الإنجليزية هناك لفظان Modernity و Modernisme حيث يفرق المفكر محمد مصطفى هدارة في الترجمة بينهما :

١- Modernity : تعني المعاصرة و العصرية و تعني المعاصرة في تعريفه أو تعبيره " إحداث تغيير و تجديد في السائدة و المتراكمة عبر الأجيال نتيجة تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن .

٢- Modernisme : حسب تعبيره تعني الحداثة وهي نظرية فكرية تدعو إلى التمرد على الواقع والانقلاب على القديم الموروث بكل جوانبه و مجالاته.(١)

و يعتبر ايمويل كانت Emmanuel Kant من أباء الحداثة فانه يؤكد في كل أعماله على شرط التنوير و الحداثة من أجل الحرية بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سلطة المقدس و رجال الكهنوت و الكنيسة يلاحظ هابرماس ان كلمة " حديث" تحر وراها تاريخا طويلا ذلك ان كلمة Modernus اللاتينية استعملت لأول مرة في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي لتمييز الحاضر المسيحي لتلك الفترة عن الماضي الروماني الوثني . وهناك البعض من الباحثين من يحصر مفهوم الحداثة بعص النهضة.(٢)

بقدر ماتوجد الحداثة في تعارض مع كل ما هو قديم بقدر ماتخزن في عملياتها احتمالات الأزمة ، فتحريك القديم يشكل خلخل للموجود ، ويعتبر أحد الباحثين أن هنا ثلاث أزمنة ميزت مسيرة الحداثة منذ ظهورها طيلة القرنين الماضيين ، الأزمة الأولى برزت في أواخر القرن الثامن عشر مع الثورة الفرنسية التي جسدت المثل الحديثة في مجال السياسة ، أما الأزمة الثانية فإنها ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر حيث تم الإعلان عن بداية انهيار العقلانية والليبرالية أمام تصاعد حركة الجماهير وظهور الفاشية والاشتراكية ، في حين تتمثل الأزمة الثالثة في سقوط الكثير من الإيديولوجيات الجماهيرية وكانت بدايتها مع أواخر الستينات من هذا القرن ومازالت لم تنتهي تعبيراتها ."(٣)

تقوم نظرية الحداثة على ثلاث مفاهيم أساسية :

١- الذاتية إن مفهوم الذاتية هو أول المفاهيم التي شكلت قاعدة الحداثة يول فيتو " الحداثة أولوية الذات ، انتصار الذات ، ورؤية ذاتية للعالم " بحيث أضحى إنسان العصر الحديث يدرك نفسه كذات مستقلة عكس إنسان القرون الوسطى التي امتازت ذاتيته بالضبابية وبالتالي أصبح العالم وجودا بعد ان تناولته

(١) عدنان علي رضا النحوي، نظرية تقويم الحداثة ، السعودية : دار النحوي للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢ ص٢٦ .

(٢) محمد نور الدين أفاية ، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس ، ط٢ ، المغرب ، إفريقيا الشرق ، ١٩٩٨ ، ص١٢١ ، ١٢٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٠٩ .

انسان القرون الوسطى التي امتازت ذاتيته بالضبابية وبالتالي أصبح العالم وجوداً بعد ان تناولته يد الإنسان من خلال القياسات الكمية، وقد شارك في ذلك جملة من المفكرين الطبيعيين والاجتماعيين مثل ديكارت وهيوم ، غاليليو ونيوتن.

ثانياً : موقف البرجماتية من الحادثة :

ان الفلسفة البراغماتية_الكلاسيكية منها والجديدة_ فقد رفضت أن يكون للحقيقة ماهية يتعين علينا البحث عنها. ونظر رورتي إلى فكرة الماهية على أنها من أكبر المغالطات التي روجتها الفلسفة، ومن ثم، فهي وهم يتعين علينا التخلي عنه ففي كتابه (الفلسفة ومرآة الطبيعة) يدحض الفكرة القائلة ان للإنسان ماهية تعكس العالم المحيط به بصورة مطابقة لانعكاس الأشياء في المرآة وهو التصوير الذي تشترك به الفلسفات الافلاطونية والكانطية والوضعية على حد سواء (١)

ومن ثم، فإن كانت فكرة الماهية التي اتسمت بها الفلسفات الحديثة هي إحدى خصائص الحادثة، فإن اللاماهوية التي تبنتها ودافعت عنها فلسفات معاصرة مثل الوجودية والتفكيكية واللاواقعية والبراغماتية عموماً والجديدة منها خصوصاً ، هي إحدى سمات ما بعد الحادثة. ذلك أن الحادثة دافعت عن وجود ماهيات وحقائق مطلقة وثابتة ، في حين أن فلاسفة ما بعد الحادثة يجمعون على ازدياد مفهوم الماهية وكل ما يترتب عليه.(٢)

وبما أن التأسيس في المعرفة أو الفلسفة ، شأنه شأن الماهية والتمثل ، هو إحدى سمات الحادثة، فإن اللاتأسيس يتجسد في نزعة التفكيك ما بعد الحداثي من حيث هي « شعار يؤشر على توجه معين في العلم السياسي والتاريخ والقانون، مثلما الحال في دراسة الأدب . وفي كل هذه الفروع المعرفية يضطلع التفكيك ضمناً بإثارة مشروع يفضي إلى قلقلة أسس هذه الفروع قلقلة جذرية.»(٣)

ووعلى ذلك، فإن تحرر الفلسفة من وهم القدسية الموروثة عن الدين بفعل التنوير والحادثة، لم يحل دون تحولها إلى دين جديد بتبنيها نظرية التمثل والماهية . وبالتالي ، فإن ضرورة تخليها عن نظرية كهذه سيقربها ، في نظر رورتي ، من ميادين الثقافة الأخرى ومن أشكال التعبير المختلفة ، الأكثر إنسانية ، للبشر عن ذاتهم ، والتعايش ضمن حوار مع الآخر، الأمر الذي يجعلها تتجاوز عقلانية الحادثة إلى انفتاحها على آفاق ما بعد الحادثة الأكثر أهمية من مهمة التمثل الحقيقي للعالم (٤)

(١) انظر : محمد جديدي ، الحادثة وما بعد الحادثة في فلسفة ريتشارد رورتي ، ط ١ ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، ٢٠٠٨ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٩٥

(٣) رورتي ، ريتشارد ، وآخرون ، البنوية والتفكك ، مداخل نقدية ، ط ١ ، عمان ، ٢٠٠٧ ، ص ١٧٨ .

(٤) انظر : محمد جديدي ، الحادثة وما بعد الحادثة في فلسفة ريتشارد رورتي ، (مرجع سابق) ص 58

هناك علاقة بين العلمانية والحدثة لدى ماكس فيبر:

يعد فيبر أهم الآباء المؤسسين لما بات يعرف بعلم الاجتماع الثقافي والديني ، كما أن مقارنته لإشكالية العلمانية والحدثة كانت ومازالت تتمتع بفعالية واسعة كبيرة وتأثير واسع في الأوساط الفكرية والفلسفية الغربية ، و يتناول هذا الجزء من الدراسة بالتحليل قراءة عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر لموضوع العلمانية وذلك نظرا لما تركته تأثيرا واسعا منذ بدايات القرن الماضي على الصعيدين الفكري والأكاديمي ولاسيما في الغرب ، إن ما قدم فيبر من أطروحات حول قضايا العلمانية والحدثة وعالم الأديان مازال يحظى باهتمام بالغ في مختلف الدوائر الفكرية والبحثية وحتى في الأوساط السياسية.

لعل أكثر تعاريف العلمانية شمولاً واسعاً ما صاغه فيبر ، ذلك أنه يعطي العلمانية دلالة ثقافية عامة ، يدعوها نزع الطابع السحري عن العالم ، قاصداً بذلك تجريد العالم من جميع أشكال القداسة والعلوية ، ثم تحويله في نهاية المطاف إلى معادلات رياضية وفيزيائية قابلة للتوظيف الذرائعي والأداتي من قبل الإنسان الحديث المتعطش للسيطرة والنجاعة العملية.

العلمانية صيغتها العامة وعلى نحو ما فهمها فيبر تعني في بعد من أبعادها الأساسية تغليب مافي العالم من قيم دنيوية على مافي العالم الآخر من وعود غيبية أخروية أو هي على حد تعبيره انتصار العقلانية القاصدة (أي العقلانية القاصدة للنجاعة والضبط العملي على العقلانية الجوهرية الموجهة بالغايات والأهداف الدينية ورغم ما يسميه بالعقلانية القاصدة الأدوات قد تشكل رحم ما يسميه العقلانية الجوهرية أي العقلنة الدينية) إلا مع تنحو تدريجياً نحو الاستقلال التام عن أي موجات دينية أو غائية وجودية مكتفية بالتمركز حول الوسائل والإجراءات العملية الناجعة (١)

والعلمانية وجهة نظر فيبر تقترن بمظهرين أساسيين:

الأول : تفكك المنظور التوحيدي والشمولي للكون على نحو ما كانت تصوره الديانات والعقائد الكبرى لصالح منظورات جزئية ذات مرجعيات متعددة ومتضاربة كل واحدة منها تستقل بأهدافها الخاصة ووسائل عملها المناسبة ، فالعالم الحديث كما يراه يشبه العالم الإغريقي القديم حيث كانت الآلهة تخوض حروباً طاحنة فيما بينها بغية الانفراد بالسيطرة على مصير العالم والتحكم بأقدار البشر فكما أن عالم الإغريق القديم بالغ الضراوة والصراع بين الآلهة فكذلك العالم الحديث ، فارق رئيس هو آلهة العصر الحديث كما يقول فيبر هي ذات طبيعة مادية اجتماعية وليست سحرية أسطورية ويخلص فيبر من كل ذلك إلى القول أن الخيارات الأخلاقية تصبح ضمن هذه الأوضاع الجديدة خاضعة لمقاييس موضوعية مشتركة تضمنها الكتب المقدسة أو وحدة الدين أو العقيدة ، بل هي خيارات فردية طبيعة نسبية منظورية كما قصدها نيتشه فمع تراجع بنى الوعي وغياب وحدة المرجعية المشتركة تصبح الأخلاقية شديدة التعدد والتضارب فيما بينها وهكذا يتجه الإنسان الحديث إلى صنع إلهه شيطانه الخاص كما يقول فيبر على هدي تأويلاته وقراءاته الخاصة دونما الحاجة إلى أي سلطة دينية.

(١) رفيق عبد السلام ، في العلمانية و الدين والديمقراطية المفاهيم والسياقات ، مرجع سابق ، ص ٦٣

الثاني : ان التعدد في مستوى الحقول الثقافية يقابلها تعدد مواز على مستوى الحقول الاجتماعية التي يحصرها فيبر في ثلاثة رئيسية الحقل المعرفي الإدراكي على مايتجسد في المؤسسة الجامعية والبحثية ثم المجال الاقتصادي والسياسي كما يتجسد أساسا نظام السوق الرأسمالي وبيروقراطية الدولة الحديثة ثم الحقل الجمالي والفني على نحو مايتجسد في المتاحف العامة والتعبيرات الفنية والإبداعية وتنتم هذه الحقول الثلاثة في فيما يرى فيبر بعلاقة غير وفاقية ولا متكافئة فيما بينها ،

وهذا مايجعل المجتمع الحديث يتسم بشدة الصراع وحدة الانقسام على نفسه ويخلص فيبر أن الحداثة تستلزم ضرورة طغيان الحقل الاقتصادي والضبط البيروقراطي على باقي الأنظمة الاجتماعية إلى جانب شيوع قيم الربح والمردودية العملية على حساب القيم الأخرى علمية كانت أم فنية ، تشريعية أم دينية وهذا مايجعل الحداثة قرينة للسيطرة والتحكم في شروط الوجود الإنساني وما يجعل من العقلنة أساسا في فكر الإنسان. (١)

لقد جسد فيبر في أطروحته العلمانية والحداثة ، العلمنة بكل جوانبها النظرية المذكورة آنفا حيث نجد أن أفكاره تقوم على أفكار المقاربات النظرية التي سبق التطرق إليها حيث : انطلق من قناعة مفادها عجز الدين – مهما كانت درجة عقلنته وتماسكه الداخلي – وهو ذهب إليه الفكر الماركسي سابقا ، خصوصا في تشديده على عجز الدين عن مغالبة إكراهات البنى الاقتصادية والاجتماعية إلا أن فارقا بين فيبر وسلفه ماركس يبقى متمثلا في كون ماركس لا يرى في الدين سوى ظاهرة وهمية ، في حين أن فيبر يمنح الدين دورا ما في تغيير الواقع ، وتحديد وجهته لبعض الوقت ، وإن كان دورا مؤقتا لا يقوى على مسايرة الواقع الذي كان له مساهمة في صنعه .

تغليب القيم الدنيوية المادية على القيم الروحية والدينية وهذا ماوجدناه في النظرية الداروينية والنظرية الوضعية لدى أوغست كونت إلى جانب ذلك النظرية الماركسية ونظريتي الحداثة و مابعد الحداثة. يعتمد على الفكر البرجماتي للتحكم في عالم الطبيعة والوجود الإنساني وهذا ماذهبت إليه المدرسة البرجماتية من خلال وليام جيمس الذي أكد على تلبية حاجات الفرد بلا مبالاة في النتائج التي قد تصيب الآخرين ، و بالتالي فان فكرة المنفعة الخاصة هي الأساس الذي يجب أن تقوم عليه العلاقات الإنسانية.

(١) رفيق عبد السلام ، في العلمانية والدين والديمقراطية المفاهيم والسياقات ، ص ٦٦ ، ٦٧

الخاتمة :

الحمد لله على نعمته ان وفقني في الوصول الى ختام بحثي المتواضع بعد جهد ، ارجو من الله قبوله ، ومن اهم ما توصل اليه البحث من نتائج هي :

١- البراغماتية بوصفها مدرسة سياسية شأنها شأن المدارس السياسية الأخرى (كالماركسية والواقعية والمثالية .. وغير ذلك) . تركز على النتائج الايجابية والمنفعة والثمار المستحصلة التي تؤثر على سلوكنا بشكل ايجابي من الافكار والقيم والمعايير الاخرى . فكل فكرة ناجحة لا بد أن يكون لها مردود ايجابي على صاحبها وقد طبقت هذه النظرية على كثير من مجالات الحياة أن لم تكن جميعها، فهي طبقت على السياسة والاقتصاد والدين والأخلاق والادب والفن ..

٢- ربما تكون هذه المدرسة قد ولدت بأفق ضيق واستخدمت في مجال محدد إلا إنها من خلال التطور التاريخي التي مرت بها قد وسعت وشملت مجالات أخرى من مجالات الحياة ولا سيما على الصعيد السياسي الخارجي، لتتجاوز بذلك كل المدارس السياسية التي تحكم الدول في أطار تعاملها الخارجي بشكل خاص فالمدرسة البراغماتية التي تعد من أبرز الأسس الفلسفية التي انبنى عليها الفكر السياسي والاستراتيجي الأمريكي والسياسات الأمريكية اللاحقة والمعاصرة .

٣- فالبراغماتية كانت على يد مؤسسيها الأوائل (بيرس - جيمس - ديوي) تحكمها معايير اخلاقية وقيم دينية حتى أن كانت هذه المعايير تدور في نطاق المنفعة إلا إن هذا لا يدل على تجريدها اخلاقيا باعتبارها المنفعة قيمة عليا لقياس الافكار البشرية، فهي واحدة من المدارس التي تؤمن بهذا المبدأ شأنها شأن بعض المدارس التي تؤمن بالقوة والمثالية وغيرها . ومن ثم هذا مبدأ أساس من المبادئ أو السمات تأسست عليها البراغماتية . وهذا لا يعني انها لا تعطي للمعايير الاخلاقية والقيم الدينية أي محتوى فكري . والدليل على ذلك كان المؤسس الثاني للبراغماتية (جيمس) قد جعل اهتمامه البراغماتي الاول في المجالات الدينية والنفسية . وكذلك (ديوي) فقد كان اهتمامه الأول والأخير هو (الاخلاق) قبل كل شيء حتى ذهب في ذلك الى اعتبار الديمقراطية تصور أخلاقي .

٤- فالبراغماتية بشكل عام تحكمها معايير اخلاقية وقيم دينية بشرط أن تكون هذه المعايير والقيم لا تنفصل عن وسائل تحقيقها، فالاخلاق والقيم الأخلاقية حسب المفهوم البراغماتي تكون فارغة وعقيمة اذا انفصلت عن وسائل تحقيقها . فكل فكرة لا بد أن يكون مجال لتطبيقها على ارض الواقع ربما تكون هذه المعايير البراغماتية قد جردت من خلال السياسات الأمريكية اللاحقة وبحكم منطق العلاقات الدولية وواقعية الحياة السياسية الدولية التي تتطلب حسب المفهوم الأمريكي الواقعي عدم الالتفات الى المعايير الاخلاقية والمبادئ المثالية في اطار التعامل الدولي ، والنظر الى المصلحة القومية والقوة كهدف اسمى لتحقيق السيادة الدولية بشكل كلي ورسم الاستراتيجية الأمريكية على وفق منطق البقاء للاقوى . نعم تؤمن السياسات الأمريكية الواقعية بالاخلاق والمعايير الاخلاقية ولكن ليس على نطاق الدولة كشخص عقلائي ، وانما على نطاق المجتمع الدولي ومن اختصاص المحافل الدولية والمؤتمرات والقانون الدولي . فواقعية السياسة الدولية والعلاقات الدولية المعاصرة لا يتطلب على وفق هذا المفهوم العمل بالمبادئ والمثل الأخلاقية ، فواقع عالما المعاصر تحكمة نظرية (داروين) (البقاء للاقوى والاصح) التي تعد من أهم المرتكزات التي تأسس وانبنى عليها الفكر البراغماتي بشكل خاص والفكر السياسي الأمريكي بشكل عام .

٥- يعد مفهوم العلمانية من أكثر المفاهيم تعقيدا وإثارة للحوار و الجدل وقد اتخذ هذا المفهوم صورة سلبية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية و أثار هذا المفهوم من ناحية أخرى في التجربة الغربية جدلا واسعا ولا سيما في عصري التنوير و الحداثة في أوروبا.

٦- ساهمت جملة من المقاربات النظرية في ترسيخ الفكر العلماني والتي ظهرت بداية من عصر النهضة في أوروبا وخلال عصر التنوير الذي سادت فيه الأبحاث العلمية وتم التركيز في هذه الفترة على الماديات بدلا من الغيبيات والروحانيات التي كانت سائدة في العصور الوسطى التي تميزت بالسيطرة الكنسية على كافة أوجه الحياة الأوروبية .

٧- وقد بلور الفكر الدارويني من خلال نظرية التطور الاجتماعية التي تبناها هربت سينسر العلمانية في قالب الإلحاد وأبعد كل ما هو ديني عن مناحي الحياة المختلفة وقد ساعدت أيضا المدرسة البرجماتية بقيادة وليام جيمس في تغليب المنفعة الخاصة على العامة ، وأكدت الوضعية من جهة أخرى من خلال أوغست كونت على العقلانية والابتعاد

على كل القيم والأخلاق . ومن جهة أخرى حاولت الماركسية من خلال ماركس ومفكرين كثر جاءوا بعده مثل أنطونيو غرامشي في بلورة الفكر العلماني في إطار منظر ، وهذا ماتطرفت إليه أيضا نظريتي الحداثة وما بعد الحداثة.

وأخيرا ادعو الله العزيز القدير ان يوفقتني في قابل الأيام ان اكتب بحوثاً اكثر رصانة ودقة كون هذا البحث هو التجربة الأولى لي في حياتي العلمية.

المصادر والمراجع :

القران الكريم

- (١) ابراهيم مصطفى ابراهيم ، نقد المذاهب المعاصرة ، القاهرة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
- (٢) ارنولد بول ، حول أمريكا كيف تحكم الولايات المتحدة ، وزارة الخارجية الامريكية ، مكتب برامج الاعلام الخارجي ، ٢٠٠٤
- (٣) إسماعيل عبد الفتاح ، معجم المصطلحات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ، العربي للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨ ،
- (٤) إنعام أحمد قدوح ، العلمانية في الإسلام ، بيروت: دار السيرة ، ١٩٩٥ ، .
- (٥) برهان غليون : اغتيال العقل، الجزائر، موفم للنشر ، ١٩٩٠
- (٦) بنيه ستيفن تنسنت ، أمريكا ، مكتبة الولايات المتحدة للاستعلامات ، ١٩٤٥ ،
- (٧) جان جاك شوفاليه ، تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية ، ط٣ ، لبنان المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢
- (٨) جلال شوقي ، العقل الامريكي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٠ ،
- (٩) جون جاك روسو ، في العقد الاجتماعي، بيروت، لبنان، دار القلم ،
- (١٠) جون ميلنو، ماهو التراث الماركسي الحقيقي ؟ تر: وحدة الترجمة ، مصر : مركز الدراسات الاشتراكية ، ١٩٩٥
- (١١) حسن محمد الكحلان ، الفلسفة التقدمية ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٣
- (١٢) دو نوفان فرانك ، حول مذكرات بنيامين فرانكلين ، ترجمة : احمد حمودة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦
- (١٣) ربودونوف بوريكو : المعجم النقدي لعلم الاجتماع .، ط١ ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٨
- (١٤) روزحال و ب. يودين : الموسوعة الفلسفية، ط٥، لبنان، دار الطليعة ، ١٩٨٥ ، .
- (١٥) زكي نجيب محمود ، من زاوية فلسفية ، ط ٤ ، دار الشروق ، ١٩٩٣ ،
- (١٦) زيادة فرحات ، تاريخ الشعب الأمريكي ، مكتبة الولايات المتحدة للاستعلامات ، ١٩٤٥

- (١٧) زيدان محمود فهمي ، وليام جيمس ، الاسكندرية : دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر ، ٢٠٠٥
- (١٨) سامي براهيم ، العلمانية في جوهرها فصل بين السياسة والقداسة وليس بين الدين والساسة ، جريدة "الصباح" (يومية - تونس) ، عبد ٢٦ مارس ، ٢٠١١
- (١٩) شنايدر ، تاريخ الفلسفة الأمريكية ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤
- (٢٠) صليبيبا جميل ، المعجم الفلسفي ، بيروت : دار الكتب اللبناني ، ١٩٨٢ .
- (٢١) عدنان علي رضا النحوي، نظرية تقويم الحداثة ، السعودية : دار النحوي للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢
- (٢٢) عبد الحفيظ محمد ، الفلسفة والنزعة الانسانية ، الاسكندرية : دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٦
- (٢٣) عبد الرزاق عبد و محمد عبد الجبار، الديمقراطية بين العلمانية والإسلام، ط ١ ، دمشق ، حوران القرن دار الفكر ، ١٩٩٩
- (٢٤) عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج ٧ ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٥،
- (٢٥) عبدالوهاب المسيري ، ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد ١ ، مصر : دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩
- (٢٦) علي عبد الهادي المرهج ، الفلسفة البرجماتية ، لبنان : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٨
- (٢٧) علي عبد الهادي المرهج ، الفلسفة البرجماتية ولحضة تشكيل الخطاب البرجماتي ، ط ١ ، دار دجلة الاكاديمية ، ٢٠٢١
- (٢٨) غوردون موريس باكي ، سن القوانين في مجتمع ديمقراطي ، عدد ٥ ، ٢٠٠٥
- (٢٩) فام يعقوب ، البراجماتزم ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦
- (٣٠) فورستر نورمن ، ٣ قروزن من الادب ، ج ١ ، بيروت ، دار الحياة
- (٣١) كرونون روبرت ، موجز تاريخ الثقافة الأمريكية ، دار النشر الاهلية ، عمان ، ١٩٩٥
- (٣٢) كنليف ماركوس ، ادب الولايات المتحدة الأمريكية ، دار الحمامي ، القاهرة ، ١٩٦٥
- (٣٣) ليرنر ماكس ، امريكا كحضارة ، المطبعة الحديثة ، مصر ، ج ١ ، ١٩٦٧

(٣٤) محمد إبراهيم مبروك ، المرجع في العلمانية حقيقة العلمانية والصراح بين الإسلاميين والعلمانيين ، ج ١ ، مصر ، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية ،
(٣٥) محمد جديدي ، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي ، ط ١ ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، ٢٠٠٨

(٣٦) محمد عابد الجابري ، الديمقراطية وحقوق الانسان ، ط ٢ ، لبنان ، سلسلة الثقافة القومية ٢٦ مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧

(٣٧) محمد مهران رشوان ، مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤

(٣٨) محمد نور الدين أفاية ، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس ، ط ٢ ، المغرب ، إفريقيا الشرق ، ١٩٩٨

(٣٩) محمود زكي نجيب ، من زاوية فلسفية ، ط ٤ ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٩٣

(٤٠) محمود زكي نجيب ، حياة الفكر في العالم الجديد ، ط ٣ ، بيروت ، دار الشروق

(٤١) محمود محمود ، مختارات من امرسون ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥

(٤٢) مصطفى النشار ، مدخل جديد الى الفلسفة ، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ .

(٤٣) ناصيف نصار : نمو مجتمع جديد، ط ٥ ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٩٥

(٤٤) نمير العاني ، حول مفهوم الحقيقة في الفلسفة البرجماتية ، بيروت مجلة الطريق ، العدد ٦ ، ١٩٨٠ .

(٤٥) هشام جعيط : فلسفة الأنوار والفكر العربي الإسلامي، الجزائر ، مطبعة الجاحظية (التبيين، العدد ١٤، سنة ١٩٩٩ .

(٤٦) وسب فان ، الحكماء السبعة ، دار مجلة الشعر ، ١٩٦٣

(٤٧) وليم جيمس ، البرجماتية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٥